كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
رحمه الله تعالى رحمة واسعة واسكنه
فسيح جنانه بمنه وغفرانه
امين امين
امين

قال الامام ابو عبد الله المرناطي في كتاب الشفاء لما سمح في الروضة الشريفة بالمدينة حرسها الله تعالى في شهر شعبان المكرم
اعز لدي من نيل الاماني ... شفاء قد حوى رتب الشفوف
تضمن للرسول نفيس مدح ... نساء الكتب من نفح العطوف
ظفرت بكتبه في خير شهر ... له يفتر بمنجده المنيف
فقل يا مرحبا ومرحبتا ... وعرف شريف في شريف
فجازى الله بالحسنى عياضا ... واجزل اجر مكتب الحروف
انشدنا شيخنا الفقيه الامام العالم العلامة نفيس الدين سليمان بن ابرهيم العلوي قال انشدنا والدي رحمه الله قال انشدنا والدي هذه الابيات القصر الامام بهاء الدين عبد الله بن شيخنا الامام جمال الدين محمد بن احمد بن خلف الانصاري شهر بالمطري رئيس المؤذنين بالحرم الشريف النبوي صلى الله على مشرفه وسلم قال انشدنا سيدنا ومولانا وشيخنا العلامة فريد المناقب نادرة الزمان تاج الحق والدين عبد الباقي بن عبد المجيد بسط الله ظله هذا الشفا شفا القلب من الم ... ما فيه شيء من التعريف للكلم
نهذب اللفظ ميمون نقيبته ... بما حوى درجه من جوهر الحكم
يهدي الى شرف المختار من مضر ... هداية دونها نار على علم
كانه القمر الزاهي بطلعته ... يزيل ما كان للالحاد من ظلم
حسبي بهر عترة في كل حادثة ... تاتي فوارضها بالشيب والهرم
سقى عياضا من الغفران ديمته ... فما الحق من الغفران بالديم
قال ... الفقيه جمال الدين محمد بن موسى الدماميني نفع الله ببركاته
هذا كتاب الشفاء الاشفاء ... للقلوب المراض والاجساد
وهو المراد والقبول كما قد جاء ... فجزى القاضي المصنف خيرا
نا عن مشايخ الاسترشاد ... وحياه الجنات رب العباد
نسال الله حشرنا كلنا في ... زمرة المصطفى البشير الهادي
وقال في ذلك ايضا
شفا في الشفا لما قرات فصوله ... يعرف حق المصطفى كل مهتدي
نعم وهدى قلبي بحسن صفاته ... بما لم يكن قلبي اليه يهتدي
عياض عن الدنيا بوجهك في غد ... فيا رب عرض نفس جامع نظمه
وهبني برا واجمع بر شمل صادق ... وهبني بر واجمع بر شمل صادق
نافي قد احببته مخلصا بما ... الحبه فيه في نعيم مؤبد
واخلص ودا عاريا من تودد ... ولا شك ان المرء مع من احبه

الحقير
الفقير
شرف به العبد
المعترف بالعجز و
اقدام المساكين عبد الله
بن حسن باشا بن عثمان
باشا امير الحاج دوي
شام سابقا غفر الله
لهم وللمسلمين اجمعين
امين
٩ ذي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه
الحمد لله المنفرد باسمه الأشهى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا
وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن نقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ
على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم غربا وعجما واز كاهم محتدا
ومنمى واربحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم
رافة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا
عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما
وكذب به وصد عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تثمى وتنما وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله
قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم
بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته
واثار قدرته بما ملأ قلوبهم حيرة وولهه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا
ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته
وعجايب عظمته يتردون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق
قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في وضع مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفا عليه افضل الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واكرام
وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان
اجمع لك ما الاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل سور وامثال فاعلم اكرمك
الله انك حملتني من ذلك امرا اثرا وارهقتني فيما نذ بتني اليه عسرا وارفيتني بما كلفتني
مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي عليه الصلاة والسلام
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وهاانا امهامه فيح قارمها القطا وتقصر بها
الخطا وتجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومراعض تذل بها
الاقدام ان لم نعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال
والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخطره العظيم وبيان خصايصه التي
لم تجتمع قبل في مخلوق وما نذ ان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي
عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن
حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا
حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم الله بلجام من نار يوم القيامة فبادرت بكت سورة عن
وجه الفرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما الرايصدده من شغل
البدن والمال بحمل ما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلى بها فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل وترد بمد حسن التفويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا الجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا ولا يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعم او عذاب الجحيم ولكان عليه
نحو بضته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده ويستفيده
جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفير
زادنا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفا وحظنا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتخبت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة

القسم

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه
في اربعة ابواب الباب الاول في ثنايه تعالى عليه واظهار عظم قدره لديه وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضايل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث
فيما اورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به
في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على يديه
من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم
الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه افضل الصلاة والسلام ويترتب القول
فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما
قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته
والتقصي عن عهدته يشرق صدر المدو الهين ويشرق قلب المومن باليقين وتملا انوار
جوانح صدره ويقدر العاقل النبيه حق قدره ويتحير الكلام فيه في بابين الباب
الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه
تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من ينقصه او يسبه صلى الله
عليه وسلم وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانه وهو ذيه وتنقصه
وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمنا باب
ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملايكته وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في
خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب ويتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة ترتج كل لبس وتوضح كل تخمين وتشفي صدور قوم
موهنين وتصرع بالحق وتمرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا وفيه قال
القاضي الامام ابو الفضل رضي الله عنه لا خفا على من مارس شيا من العلم او خصر بادنى
لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه اياه بفضايل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمامه وتنوعه من عظم قدره بما تكل عنه الالسنة
والاقلام فمهما ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى عليه من
اخلاقه واد ابه وحض العباد على التزامه وتقلد اتجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل
بدا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمعاهد الكريمة والفضايل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات المبينة الحق
شاهدها من عاصره وبراها من ادركه وعلمها علم يقين من جا بعده حتى انتهى علم
حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين
المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال

حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ايحك تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد
محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره واعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك في المدح والثناء وتعداد
المحاسن لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقراء بعضهم
من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم **قال** القاضي الامام ابو الفضل وفقه
الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من
المواجهة بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته
ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم
يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة لكونه
من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد ايصافا
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة
ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزة عليه وترافته ورحمته بهم منبهة
قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى
قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية
الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم الاية وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح **وقال** جعفر بن محمد علم الله عز وجل خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة
والبسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
طاعته ومواقفته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين **قال** ابو بكر بن طاهر بن الله محمدا بنية الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى
يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا **وقال** السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس
وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر
بتاخير العذاب **قال** ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة **وحكى** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين **وروي**
عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما
وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور
السموات والارض الاية **قال** كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد وقاله سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل
السموات والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري

وهو عن ابن عباس وغيره معنى قوله الا المودة في القربى

فان الكلمة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
ولا نسبا لها كان عليه الصلاة والسلام وسط قريش ليس بابطحها ولا اقصاها
وتقلب في الساجدين قال في من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا

الاصح

لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي
تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في
هذه الآية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع
نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر
قلبك حتى لا يوسوس اليك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد
رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي وفقه الله هذا تقرير من الله
جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة
ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفع ذكره وقرانه مع اسمه
اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان
ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت
ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرك معي وقال ايضا جعلتك
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن
ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله جمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام
في غير حقه عليه افضل الصلاة والسلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسن بن محمد
الحبالي الحافظ فيما اجاز لنه وقرانه على النقية عنه قال حدثنا ابو عمر المقرئ
قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود
السجستاني حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله
وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله
عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختاره بثم
التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان
خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم
او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين تعريف الكناية لما فيه
من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقوله لابي سليمان اصح
لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم ينكر الوقوف على يعصهما
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي هل

يصلون راجعة الى الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عندنا ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روى انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فمن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما اخوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد عليه افضل الصلاة والسلام وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرىء صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة

قال تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله له في هذه الآية ضروبا من رتب الاشرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وفي مرخصايصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد اخبرنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا يجزي بالخنى ولا قوال الخنا اسدده لكل جميل وهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره

بالمدينة

بالمدينة او قال طيبة امته الحامدون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الاية وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم قال السمرقندي ذكرهم الله
منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا غليظا في القول لتنفروا
من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا براطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال
ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على
الناس وكذلك قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي
عدلا اخيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على امهم وبشهد لكم الرسول بالصدق عليه السلام
قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا عليهم السلام هل بلغتم فيقولون نعم فتقول
امهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند
ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله
التستري رحمة الله عليه هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد
ابن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسابل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث فيما ورد في عطايه**
اياه من الالطفة والبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
قال ابو محمد المكي قبل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال
عمرو بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان تخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان
معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو براءة النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من نصبة هذا الكلام لكن الله
تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي
لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه
في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهر نفسه الرابض
بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاملاته ومحاورات له
فهو عنصر المعارف الحقيقة وروضة الاداب الدينية والدنيوية ولنتامل هذه
الملاطفة العجيبة في السؤال من رهب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويتنتر
ما فيها من الفوايد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب
ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا قال
بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبيا بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل
وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظا لشرايط الحرمة وهذه غاية العناية ثم انظر
كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثنا عتبه براءته
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فاتاه جبريل عليه السلم فقال ما يحزنك

قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الآية فهذه الآية
منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطائف في القول بان قرر عنده انه
صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا
يسمونه قبل النبوة الامين فرفع لهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم
لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما
يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم
عتراه وانسه بما ذكره عن من قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك
الآية فمن قرا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا
يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يشوقونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا
ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به
ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمايهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا
يا عيسى يا زكريا يا يحيى عليهم السلام ولم يخاطب هو الا بايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر **الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره** قال الله
تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله
بحياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما
ذرا ونفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة
احد غيره صلى الله عليه وسلم قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى
الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الآيات
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لي عند اثني عشر اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابن
عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال
هو قسم وهو من اسما الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل
يا انسان وعن ابن الحنفية رحمه الله عليه يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
به تعالى به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال
والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه من اسمايه صلى الله عليه وسلم
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف القسم الآخر
عليه وان كان بمعنى النداء فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهذه الآية
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله
تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتجبيره على تاويل من
قال انه ياسيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذ لم تكن فيه بعد حرجت منه حكاه
مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال اوحل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلا مكة وقال الواسطي اي خلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبعبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية
وما بعده يعضده قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه وقول ابن عطا في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال آمنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم
قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهي ان
شا الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في موضعين وقال

تعالى

تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله
بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله
تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما الصلاة والسلام وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا
القرآن الذي لا ريب فيه وعلى الوجه الاول تحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب
فيه ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه لهما تفخيم وقال ابن عطاء في قوله
تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم الله وقيل جبل
محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال
انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد
صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان **الفصل الخامس في قسمه تعالى**
جدّ له لتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى
السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عنه
فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي ابو الفضل السورة وفقه الله
تعالى السورة تضمنت هذه بين كرامة الله له وتنويهه به وتعظيمه اياه سته وجوه
الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة **الثاني** بيان مكانته عنده وحضوته لديه
بقوله ما ودعك ربك وما قلا اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان
اصطفاك **الثالث** قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك
في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت
لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا **الرابع** قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وثبات
الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في
الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس اية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد
من امته النار **الخامس** ما عدّده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الايواء فبله في بقية
السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له
فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى وبيتما فحرب عليه عمه واواه الله
وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك
ضالا واغنى بك عايلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفايه **السادس** امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بشره واشاده ذكره
لقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لامته
وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في
قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى
صلى الله عليه وسلم وقال سهل هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسما والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي
تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه المدّ ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه
على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله
اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهايه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه

الكبرى وقد نبه تعالى على مثل هذه المعانى فى اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه
صلى الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا
تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع اذناه المعقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى الخبر الابهام عن تفصيل ما اوحى
وتاهت الاعلام فى تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضى
ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته
عليه الصلاة والسلام وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وزكاه
وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم
عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة فرفيع
رفيع المحل عنده مطاع ثم امين اى فى السماء امين على الوحى قال على بن عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجمع الاوصاف بعد على هذا الله
وقال غيره هو جبريل عليه السلم فرجع الاوصاف اليه ولقد راه اى يعنى محمد اصطفاه
الله عليه وسلم قبل راى ربه وقيل راى جبريل عليه السلم فى صورته وما هو على الغيب
بظنين اى بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمة
وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات
اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تبرية المصطفى مما غمصته الكفرة به وتنكيتهم
له وانسه وبسط امله بقوله حسنا فطالما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة
فى المخاطبة واعلاء درجات الاداب فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير
منقطع لا ياخذه عد ولا يمن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه
من هبابه وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفى التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم
قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطى اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسراه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله
على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر الخير وهداه اليه
ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقباهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث ايات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد مثاليه متوليا ذلك بفضله
ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا
تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقاوته
وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورد
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت فى ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى فى حبيبه

صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام قال تعالى
طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمايه عليه الصلاة والسلام
وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هى حروف مقطعة
لمعان قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى وقيل هو امر من الوطء والطا كناية
عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة
وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبى صلى الله عليه وسلم
يتكلف من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضى ابى الوليد الباجى اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا
ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموى حدثنا ابرهيم بن خزيم الشاشى قال

حدثنا

حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي
الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعني يا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى الاية ولا
خفنا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلناك من اسمايه صلى الله
عليه وسلم كما قبل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي
قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا
يكونوا مومنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله فاصبر بما تومر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزى برسل من قبلك الاية
قالم مكى سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على
ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبره عن الامم السالفة ومقالها لانبيايهم
قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
اي اصبر على اذاهم فانك حيث نراك وحفظك سلاه الله بهذا في اي كثيرة
من هذا المعنى **الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من**
عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا وحظوة رتبته صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته
غيره اياه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليومنن به وقبل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم و
قوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله
عليه وسلم لين بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه ويامر قومه ان يومنوا به ان ادركوه
عن السدي وقتادة في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الحديث
شهدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابن انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك الله اخر
الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية يا ابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول قال
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح عليه السلام وغيره قال
السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنايم وظهرت على
يديه المعجزات وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى
الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خاطب الانبيا

حش النسا

حش الاحزاب

حش البقرة

باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى
عن الكلبى فى قوله وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم
اى ان من شيعته محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكى
وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام **الفصل الثامن** فى اعلام الله تعالى
خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى
فيها من بقى من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا
لعذبنا الاية وقوله ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا
يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وهذا من ابين ما يظهر مكانة النبى صلى الله
عليه وسلم ودرابة العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفى الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضى
الشهيد ابو على رحمه الله بقرائتى عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن
الصيرفى قالا حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا ابو على السنجى حدثنا احمد بن محبوب
المروزى حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل
ابن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة بن ابى موسى عن ابيه رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله على وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
وفحوى قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا امان
لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى
الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سننه باقية فهو باق فاذا اميتت
سننه فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبى الاية
ابان الله فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملايكته وامر عباده بالصلاة
والتسليم عليه والصلاة من الملايكة ومناله دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة
وسنذكر حكم الصلاة عليه ذكر بعض المتكلمين فى تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والهاء هادية
قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده قال هو الذى ايدك بنصره والعين
عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله
وملايكته يصلون على النبى وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية
مولية اى وليه وجبريل وصالح المومنين وقيل الملايكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
على وقيل المومنون على ظاهره **الفصل التاسع** فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت
هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر
الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء جل جلاله باعلامه بما قضاه له من الفضل المبين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وما يكون
قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك وقال مكى
جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبرك وقيل بفتح مكة والطايف
وقيل برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليك بخضوع
متكبرى عدوه له وبفتح اهم البلاد عليه واجمالها ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المومنين
بالسكينة والطمانينة التى جعلها الله فى قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفورهم المظيم

وقبل الانبياء عليهم السلام
رضى الله عنهم
منها
والغفور

والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فحدد
محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا اعدوه بالعذاب
وقيل لحذرا من الضلالات ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه
اى تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون فى تعظيمه وتوقروه اى تعظمونه وقرا
بعضهم تعزروه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله
عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء رجع للنبى
صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
أعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص
والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تنزيهه من العيوب وتمام النعمة
ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر
ابن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته وشرح به شرايع غيره
وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه
الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك
يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه
وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب المجاز
وهذا فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ومريده
وقدرته عليه ومشيئته ولا دخل لقدرة البشر توصل تلك الرمية حيث وصلت
حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل
فى هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربى ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم
وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اى ان منفعة الرمى كانت من فعل الله فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله فى كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك مما نصه
تعالى من قصة الاسراء فى سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم
منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله
الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه فى هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم
لهلكه وخلوصهم جميعا فى امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه فى الغار وما ظهر فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة
سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر
اعلم الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر فى الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه
ورد عليه قوله فقال تعالى ان شانيك هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او المفرد الوحيد او الذى لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعا من المثانى
والقران العظيم قيل السبع المثانى السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران
وقيل السبع المثانى ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثانى ما فى القران

من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القرآن العظيم
وقيل سميت ام القرآن مثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى
الله عليه وسلم وادخرها له دون الانبيا وسمى القرآن مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل
السبع المثانى اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الاية قال
فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه الصلاة
والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمومنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اى ما انفذه
فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولا يحل له ازواج فى الاخرة وقد قرى وهو اب لهم
ولا يقرأ به الان لمخالفة المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشاروا واسطى الى انها اشارة
الى احتمال الرؤية التى لم تحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم **الباب الثانى**
فى تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه
نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
ان خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة
الحياة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما تحمد فاعله ويتقرب الى الله زلفى ثم هى على قسمين
ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يمتزج ويتداخل فاما الضرورى المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته
وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من
غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال
الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى وهو ان يعين البدن على سلوك طريقها وكانت على
حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية
والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة
وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها
ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله وتكون
هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها فضايل ومحاسن
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا
كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة
منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم
او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمع فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال
بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة
والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر الاسود
والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد

والبشارة والنزارة والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم الامانة والهداية ورحمة
للعالمين واعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملائكة وايتا الكتاب والحكمة والسبع المثانى والقران العظيم وتزكية
الامة والدعا الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع
الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والبجم واحيا
الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصى وابراء الاكمه والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتمل ولا يحيط بعلمه الا خالقه
ذلك ومفضله به لا الله غيره الى ما اعد الله له فى الدار الاخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التى يقف دونها العقول
وتحار دون ادنيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفا على القطع باجملة
ان صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضائل
وقد ذهب فى تفاصيل خصال الكمال والجمال مذهبا جميلا شوقنى الى ان اقف عليها
من اوصافه صلى الله عليه وسلم بتفصيله فاعلم نور الله قلبى وقلبك وضاعف
فى هذا النبى الكريم حبى وحبك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة
وفى جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه فى جسمها
فقد جات الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث على وانس بن مالك
وابى هريرة والبراء بن عازب وعايشة ام المومنين وابن ابى هالة وابى جحيفة وجابر
ابن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن مقيب وابى الطفيل والعداء بن
خالد وحريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضى الله عنهم من انه صلى الله
عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج اجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج
بدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سوا البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب
الكفين والقدمين سايل الاطراف انور المجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله
صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب
الغمام اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عقا ليس بمطهم ولا مكلثم
سماسك البدن ضرب اللحم قال البرا رضى الله عنه ما رايت من ذى لمة سوداء فى حلة
حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضى الله عنه
ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه
واذا ضحك يتلالا فى الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد فى بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وقى
حديث ابن ابى هالة يتلالا نور وجهه تلالا القمر ليلة البدر وقال على رضى الله
عنه فى اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله والاحاديث فى بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا فى وصفه نكت ما جا فيها وجملة مما فيه الكفاية فى القصد
الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شا الله
تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب نكهه وعرقه ونزاهته عن الاوزار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله فى ذلك بخصايص لم توجد فى غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر وقال بنى الدين على النظافة حدثنا سفين بن العاص وغيره احد

قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن
سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي
الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال
فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مشتها بطيب اولم يمسها
بصباح المصباح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة
تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في
طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله
عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه
من طيبه وروى الحرث عن جابر رضي الله عنه اراد في النبي صلى الله عليه وسلم
فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان يتم على مسكا ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت
رائحته بالاطيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه
وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب
الواقدي في هذا خبرا عن عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي
الخلا فلا يرى منك شيء من الاذاء فقال يا عايشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما
يخرج من الانبيا فلا يرى شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من
اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي
حكاه الامام ابو نصر الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر
ابن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وخرج ما لم يقع لهم منها على
مذهبهم من تفاريع الشافعيه وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا فقلت طبت حيا وميتا قال
وسطعت منه رائحة طيبة لم اجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين
قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم
احد ومصه اياه وتشويفه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما دم حجامته فقال صلى الله عليه
وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو من هذا
عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم
الدار قطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في
نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تحضن النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه
من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم تجد شيا فسال بركة عنه فقالت قمت
وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى
الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن عايشة رضي الله
عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وروى عن امه امنه انها
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله
غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا
قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكاء

كبده

لبّه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه
كان اعقل الناس وادكاهم ومن تامل تدبيره اثر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وفجره من
الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يترنح رجحان
عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال
ابن منبه قرات فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله عليه وسلم
اربح الناس عقلا وافضلهم رايا وفى رواية اخرى فوجدت جميعها ان الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة خردل بين رمال الدنيا وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اقام فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله وتقلبك فى الساجدين
وفى الموطا عنه صلى الله عليه وسلم انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه عن انس رضى الله
عنه فى الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زادها الله فى حجته وفى بعض الروايات
انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى وفى اخرى انى لابصر من قفاى كما ابصر من
بين يدى وحكى يحيى بن يحمد عن عايشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم
يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء والاخبار كثيرة صحيحة فى رويته صلى الله عليه وسلم للملايكة
والشياطين ورفع النجاشى له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة
حين بنى سجدة وقد حكى عنه انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على
رويته العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والمعجزات
لا تخالف ولا اجاله فى ذلك وهى من خواص الانبياء وخصايصهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله
ابن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغانى حدثنا ام القاسم بنت
ابى بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد الحسنى حدثنا محمد بن محمد بن سعيد
حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مروان حدثنا هام حدثنا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال لما جلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفاء فى الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تخص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الاسراء والخطوة بما راى من ايات ربه الكبرى وفرجات الاخبار
بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة فى
الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة رضى الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفى صفته ان ضحكه
كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كما يحط من صبب فصل
واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذى لا يجهل مع سلاسة طبع وبراعة منزع واتجاز مقطع
ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتى جوامع الكلم وخصر
بدايع الحكم وعلم السنة العرب تخاطب كل امة منها بلسانها وجاورها
بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه فى غير موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيرة علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز وجده ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى
وطيف الخيرى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندى
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ورهاطها وعزازها ما اكلون عفاءها وترعون عفاءها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والراجن
والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم فى محضها

عليهم السلام ص

ومخضها ومنفقها وابعث راعيها في الدثر واجزله التمر وبارك له في المال والولد من
اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك وضايع الملك لا تلطخوا في الزكوة ولا تلجحوا
في الحياة ولا تتثاقلوا عن الصلوات وكنت لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش
وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا تحبس دركم
مالم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه
الربوة وكتابه لوابل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفيه في البتيمة شاة لا مقورة الاليا ط ولا ضناك وانطوا الثنجة وفي السيوب
الخمس ومن زنا منهم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى منهم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل
ابن حجر يترقل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهورة
لما كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم في هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
الالفاظ استعملها مهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري
حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عمّ شئت وهي
لغة بني عامر وامثالهم المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المانورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة
ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد
على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من
لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء وعرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم
تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني في المجلس يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعايه اللهم اني اسالك
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك
الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة
عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه واديته ومخاطباته وعهوده مما لا اخلاف
انه نزل من ذلك موقفه لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمى الوطيس
ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال لاصحابه
ما رايتم الذي هو افصح منك فقال وما ينعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي
مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها وفصاحة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها
الى التابيد الالاهي الذي مرده الوحي الذي لا يحيط بجلمه بشر وقالت ام معبد
في وصفه له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان
جهير الصوت حسن النغمة فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه فما لا

فاصقعوه اي اضربوه

الترقل الترسل

تحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم سلالة قريش
وصميمها واشرف وافضل العرب واعزهم واشرفهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن
اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن
محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر
عبد الرحمن بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن عمرو وعن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت
من القرن الذي كنت منه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فريقهم ثم خير القبائل فجعلني من
خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال
الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم
فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم هاشم
ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا كانت
نورا بين يدي الله تعالى قبل ان خلق ادم عليه السلام بالفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملايكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم عليه السلام وجعلني في
صلب نوح عليه السلام وقذف بي في صلب ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل الله
تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم
يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي
صلى الله عليه وسلم المشهور **فصل** واما ما تتعوض ضرورة الحياة اليه مما فصلناه
فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما ما التمتع والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالفواكه والنوم فلم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتها وتذم بكثرتها لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسببة لمضار الدنيا والاخرة
جالبة لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفا الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل
على الفسولة والضعف وعدم الزكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر
في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد
مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا تحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين
بالاقل هذا مما لا يرتفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما
بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقرائتي عليه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني
حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن
صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب
ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث

لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك
سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضغف اي كثرة الايدي
وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان
في اهله لا يسألهم طعاما ولا يشتهيه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا
يعترض على هذا الحديث بريرة وقوله المرار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رأهم لم يقدموه
اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره
بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصح
العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم امّا انا فلا اكل متكئا
والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز المقعي
ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على
الجانب الايسر اهنا للهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ
لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النايم
على الايمن تعلق القلب فقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل
والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه امّا
النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية وامّا في الشرع فسنة ماثورة
وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا
اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام تناكحوا تناسلوا فاني
مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج حتى لم ير العلماء ما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب الى سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان
زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي
والحسن وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا عليهما
السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده
فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النسا فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان
شا الله تعالى على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا ولا ذكر له بل
قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق
بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النسا فقد بان
لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
امّا بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى صلى الله عليه وسلم فضيلة زايدة
لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي

يشغله

يشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الى من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر
من النسا والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستمالة لذلك ليس لدنيا بل لاخرته
للفوايد التى ذكرناها فى التزوج والقآء الملايكة فى الطيب ولانه ايضا مما يحض
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقع
شهوة وكان حبه الحقيقى المختص بذاته فى مشاهدت جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبتين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة فقد ساوى يحيى
وعيسى عليهما السلام فى كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه
وسلم من اقدر على القوة فى هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر
مالم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور
على نسايه فى الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه
اعطى قوة ثلثين رجلا اخرجه النسائى وعن طاوس اعطى صلى الله عليه وسلم قوة
اربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبى
صلى الله عليه وسلم ليلة على نسايه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان يلى الاخرى وقال
هذا اطهر واطيب وروى نحوه عن ابى رافع وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن
الليلة على مايه امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما
كان فى ظهر سليمان عليه السلام مايه رجل وكانت له ثلثمايه امراة وثلثمايه سرية
وحكى النقاش سبعماية امراة وثلثمايه سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مايه وقد نبه على ذلك فى الكتاب
العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وفى حديث انس رضى الله عنه صلى
الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمته فى القلوب وقد قال تعالى فى صفة عيسى
عليه السلام وجيها فى الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر بحظ الناس لعقبى
الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكنونه ويوذون اصحابه ويقصرون اذاه فى نفسه خيفة
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها
وقد كان يبهت ويفرق لرويته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما رأته ارعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان رجلا
قام بين يديه فأرعد فقال هون عليك فانى لست بملك الحديث واما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة فى الدنيا فامر
هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
ياسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما اختلف الحالات فى المتدح به والمتاخر بسببه
والتفضل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها انه وصلة
به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والافلس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه وآمله وتصريفه فى مواضعه مشتريا به
المعالى والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجه وجوهه حريصا على
جمعه عادا كثرة كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولم يقف به على جد السلامة
بل اوقعه فى هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند
مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه متصرفا فى جامعه اذا لم

فضيلة

يضعه مواضعه ولا وجهه وجهه غير ملى بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا سمح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما يبيره من المال
الوصيل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شئ
والمنفق على غنى بتحصيله فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شئ فانظر سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح
البلاد واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد
الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق وحليت اليه من نفاسها
فما استاثر بشئ منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده
لدين واتشدد نانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسايه فلم ياخذه نوم
حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشمله والكسا الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
اقبية الديباج المنسوجة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس
والتزين ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه ليس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا
يودي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية المخفيه في العادة عند
الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال فكذلك التباهي
بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته من ملك الارض
وما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها هو جايز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايد عليها في الفخر وتعرف في المدح بالضد ابه
عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف
بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدايمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى طرفي افراطها
وتفريطها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة
رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته
لم يحصل له باكتساب ولا برياضة الا بمجرد الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر
الانبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صبا هم الى مبعثهم تحقق ذلك كما
عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بل
غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى
واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال
معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ما للعب خلقت وقيل
في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين
فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدق وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني
اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك خيرا له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى عليه السلام
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال

ان

ان المنادى عيسى ونص على كلامه فى مهده فقال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا
وقال ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبى
يلعب فى قصة المرجومه وفى قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه عليه السلام وحكى
الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى
صلى الله عليه وسلم مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون فى قوله
ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابراء خلقه وقال بعضهم لما
ولد ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله
ان يعرفه بقلبه وينكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلم فى النار وختنه كانت وهو ابن
ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال
ابرهيم عليه السلم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل
اوحى الى يوسف عليه السلم وهو صبى عندما هم اخوته بالقايه فى الجب
يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال
فى حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم
اهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم اعد ثم يمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا
الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية
دون مباشرة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد
يجئ غيرهم ممن يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او
الشهامة او صدق اللسان او السماحة كما جبل بعضهم على ضدها فما لاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب ممدوحها ويستدل بمحمودها وباختلاف هذين الحالين
تتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له وهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا
الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة
فى الصبى وحكاه عن عبد الله بن مسعود الحسن رضى الله عنهما وبه قال هو والصواب
ما اصلناه وقد روى سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى
حديثه والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الجميلة الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها وحقق وصفه صلى الله
عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى **فصل** اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة
دايرتها فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراى وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضايل وتجنب الرذايل وقد اشرنا الى مكانه
منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه وادنى جلالة
محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره وطالع
جوامع كلامه وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلم بما فى التوراة والانجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية واياتها وضرب الامثال وسياسات الانام
وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والتشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ
اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبادة والطب والحساب
والفرايض والنسب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى

دون تعليم ولا ممارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي امي
لم يعرف شيئا من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بشرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ جموعها مما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع ونحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن
دون وصف تحليط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند
الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر وهما بها
متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه
وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الاية سال جبريل عليهما الصلاة والسلام عن تاويلها فقال حتى اسال العالم
ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور ولا خفا بما يوشن من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب
حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر
رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعى نوح على
قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا فاين عنك اخرنا
فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول
من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت حتى عفى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع
لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر بسبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال له وتحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى عن اراده من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتذ تحت
شجرة وحده قايلا والناس قايلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
قايم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه وعفى عنه
فجاء الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس ومن عظم خيره في العفو عفوه عن
اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد
ابن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن هما قتله

وكذلك لم يواخذ عبد الله ابن ابى واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهتم
قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس
رضى الله عنه كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابى
برداءه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لى على
بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال ابيك
فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويعاد منك
يا اعرابى ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافى بالسيئة السيئة فضحك النبى
صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضى
عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا فى مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من
محارم الله وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد فى سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة
وجئ اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع
ولو اردت ذلك لن تسلط على وجاء زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال ايكم يا بنى عبد المطلب مطل
فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى
عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرنى بحسن القضاء وتامره بحسن
التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله ثلاث وامر عمر بقضيه ماله وبزيده عشرين صاعا
لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شئ الا
وقد عرفتها فى محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه
وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان تاتى عليه وحسبك ما ذكرناه مما فى
الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدايد الصعبة معهم الى ان اظهره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى استيصال شافتهم واباده خضرائهم فما زاد على ان
عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
اقول كما قال اخى يوسف صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انس بن مالك رضى الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى
كف ايديهم عنكم الاية وقال لاتى سفين وقد سبق اليه بعران جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول ويحك يا باسفين الم يان
لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله عليه
وسلم فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق
بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
ايضا مروءة وهو ضد الدناءة والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو
ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوارى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا
يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله
قال حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى حدثنا ابو ذر الهروى حدثنا ابو الهيثم
الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا
البخارى حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله
رضى الله عنهما يقول ما سيل النبى صلى الله عليه وسلم شيا فقال لا وعن انس وسهل
ابن سعد رضى الله عنهما مثله وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه
وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام

اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضى الله عنه ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وترد على
هوازن سبايا هم وكانوا ستة الاف واعطا العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاء رجل فسأله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه
فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذى وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبى صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطانى ملء كفه حليا
وذهبا قال انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد
والخبر جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابى هريرة رضى الله عنه اتى
رجل النبى صلى الله عليه وسلم فساله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال بصفه قضاء وبصفه نائل

يسأله

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث تحمد فعلها دون خوف
وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يجهل وقد حضر المواقف الصعبة وفر
الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو على الجيانى
فيما كتب لى قال حدثنا القاضى سراج حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا ابو زيد
الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر
حدثنا شعبة عن ابى اسحق سمع البراء رضى الله عنه وسأله رجل افررتم يوم
حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبى
صلى الله عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب
قيل فما راى يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبى صلى الله عليه وسلم
عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضى الله عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادا يا المسلمين
الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شئ وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما رايت اشجع ولا اجد ولا اجود ولا ارضى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على رضى الله عنه انا كنا اذا حمى البأس
ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو
الذى يهرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه منه وعن انس رضى الله عنه
كان النبى صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع
اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه
وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين رضى الله عنه ما التقى صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب وما راه ابى ابن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت

ان بجاد وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرسين اعلفهما كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد انى على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطاير وا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدارا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما في جميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاعضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاعضاء التخافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقرائتي عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكره حياء وكرم نفس وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروي انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم كان مزاحا يه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجاز لنيه وقرانة علي غيره فقال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زراره عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسايه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من

القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء هذا
وصفه ابن ابي هالة قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عن ما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال
الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال
ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي
عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي
الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه ما حجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود
المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال انس رضي الله عنه ما التقم احد
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه
وما اخذ باذنه فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه
بين اصحابه حتى يضيق على احد يكرم من يدخل عليه ورما بسط له ثوبه ويوثره
بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكنى اصحابه ويدعوهم باحب اسمايهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء
او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران
او يخطب وتخطب قال عبد الله بن الحرث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا صلى الغداة باناتهم فيها الماء فما يوتى باناية الا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك **فصل** واما الشفقة والرافة
والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
روف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
الصلاة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمايه فقال بالمؤمنين روف رحيم
وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر حدثنا
ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة
وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان ابن امية ماية من النعم ثم
ماية ثم ماية قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي
ان اعرابيا جاء يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال لا اعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه
وزاده شيا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين
ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم منك عليك قال نعم فلما كان الغد
او العشي جا فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي
الكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل
رجل له ناقة شردت عليه فابتغها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا
بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض

قوله ١

فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغنى احد
منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخيره صلاة الليل ونهيه عن
الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يفتت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم
رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
اذ دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة
وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما رد واعليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم
فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
قال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل صلى الله عليه وسلم قال للنبى صلى
الله عليه وسلم ان الله امر السموات والارض والجبال ان تطيعك فقال او خبر عن امتى اهل الله
ان يتوب عليهم قالت عايشة رضى الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين
الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت ترده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق **فصل** واما خلقه
صلى الله عليه وسلم فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضى ابو عامر محمد
ابن اسمعيل بقراءتى عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الجبال حدثنا
ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد
ابن سنان حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل بن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق
عن ابيه عن عبد الله بن ابى الحمراء رضى الله عنه بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان
يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فاذا هو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن
انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت
فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضى الله عنها
قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح
الشاة فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه
امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوى رحمه من غير ان يورثهم
على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء
غير ان لهم منى رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه الصلاة والسلام بامامة ابنة
ابنته زينب حملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابى قتادة وفد
وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال
انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب ان اكافيهم ولما جى باخته من الرضاعة الشيماء
فى سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة
محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت
النبى صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذا قبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التى ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه

وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابى لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل لا احد وفى حديث خديجة رضى الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوايب الحق **فصل** واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه وتعين رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيامة وانك اول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقرائى عليه فى منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مايه قال حدثنا ابو على الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا عبد المومن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابى العنبس عن ابى العديس عن ابى مرزوق عن ابى غالب عن ابى امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفى حديث عمر رضى الله عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضى الله عنه ان امراة كان فى عقلها شئ جائته فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان فى اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضى حاجتك قال فجلست فجلس النبى صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة النتنة فيجيب قال وج صلى الله عليه وسلم على رجل رشا وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى فى حجه ذلك مايه بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى وقال للذى قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله وعن عايشة والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته وبعضهم يزيد على بعض كان فى بيته فى مهنة اهله يفلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله وتخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويطحن ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضى الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها ودخل عليه رجل فاصابه من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا يفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشئ احق بشيه ان تحمله **فصل** واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تقاطع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلف قريش وحاربت عند بنا

الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل
نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضيناه وعن الربيع بن خيثم رحمه الله كان
يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله
عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي
عليه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي
المسني حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا
معوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه
ان اباجهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله
فيهم فانهم لا يكذبونك الاية وروي غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان
الاخنس بن شريق لقي اباجهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس ههنا غيري وغيرك يسمع
كلامنا اخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد
قط وسال هرقل عنه ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
قال لا وقال النضر بن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم
حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي
رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح وتحدثون
يعدل اذا لم اعدل جئت وخسرت وان لم اعدل قالت عايشة رضي الله عنها ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه قال ابو العباس المبرد تسمى كسرى اياسه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس لقضاء الحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه
وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزءه
بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع
ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن
الحسن رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه ما هممت بشيء مما كانت
اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك حول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما
همت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل
مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جيت اول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء

فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي
اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا
عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عبد الرحمن
عن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه
وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في مجلس احتبى بيديه وكذلك
كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه
تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساءه كانما على رؤسهم

الطير وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفوا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير عرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان احسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هاله كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قلت عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثنا لو عده العاد لاحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يليه والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السير ما يكفي ويحسبك من قلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه خزائنها وتراوفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفين بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه ما لاخطر ببال وقالت عايشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا وجعلها صدقة قالت عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي ان عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل عليهما السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد جمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا يثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمونا الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه كحاله له ليلة باربع فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوا الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به واسمع

بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقويك فيقول
يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفعت
في معيشتي ان يقصر بي غداؤهم وعشاؤهم وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم **فصل** واما خوفه ربه وطاعته
له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني
عليه قال حدثنا ابو القسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن
عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا
عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر رضي الله عنه اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى لوددت ويروى وددت اني شجرة تعضد
روى هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث
المغيرة رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا وحنوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت عايشة
رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وحنوه عن ابن عباس وام سلمة
وانس رضي الله عنهم وقال كنت لا اشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما
الا رايته نائما وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية
رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا آل عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه
وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة وعن عايشة
رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن
الشخير رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز
المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم
الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة فوادي في ذكره وغمي
لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبيا
والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم

آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رايت موسى عليه السلام فاذا رجل ضرب رجلا اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى عليه السلام فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر منطقي مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم عليهما الصلاة والسلام به وقال في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء من آدم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى بذروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتاده عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا احسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الايتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الايه قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وجعلني من المرسلين وقال في وصف جماعة منهم انى لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود عليه السلام انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال في شعيب عليه الصلاة والسلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفين هو الحزن الدايم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي ابن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام كان مما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذا ذ الاطعمه ويا كل خبز الشعير واوحى اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت الجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام خفف على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يزهد عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام

سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم يرض احكاما بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني حمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق السوء وقال مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش ليلا تخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخباره هم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمايل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما جاء في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما تخالف هذا فصل فقد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضايل الجميدة وخصال الكمال المدنية واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلينا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء ونحن على خصايصه زاخر لا تكدره الدلا ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك على قليل من كثير وغيض من فيض واردنا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمايله واوصافه كثيرا واداء ما جاء جملة كافية من سيره وفضايله وفضله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس ماية قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرات عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحرمي والقاضي ابو علي الحسن بن علي ابن جعفر الوهشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى اباعبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال سالت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو يعلى رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداد الكرخي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن ابن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه وانا اسمع قال اخبرنا ابو محمد الحسن ابن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي رضي الله عنهما واللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

وصافا وانا ارجو ان يصف لى منها شيا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخما مفخما يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم
الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج
سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجرى كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سايل الاطراف او قال
سائر الاطراف او ساير الاطراف سبط القصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين
ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى
كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من
نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت
صف لى منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دايم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا
المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه اذا تعرض الحق بشى حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا
اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها يضرب باباهمه اليمنى
راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم
ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسين فكتمتها الحسين بن على رضى الله عنهم زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه فساله اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيا قال الحسين سالت ابى عليهما
السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا
له فى ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزاء جزا لله وجزا
لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته فى جزا الامة ايثار اهل الفضل باذنه بقسمه على
قدر فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسلته عنهم واخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول
ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره قال فى حديث سفين بن وكيع يدخلون رواد ولا يتفرقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعنى فقهاء قلت فاخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويوالفهم ولا
ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان
يطوى عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما فى الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة
مسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهى به المجلس ويامر بذلك ويعطى كل جلسايه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم

اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق
سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتماطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويرحمون الغريب
فسألت عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق ليّن الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث
المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا
يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انتصتوا له حتى يفرغ
حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على
الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء
الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا
انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم
قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية
النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله
عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن
ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع
لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف رحمه الله وعونه فصل في تفسير غريب
هذا الحديث ومشكله قوله المشرّب اي المبين الطول في خفة وهو مثل قوله في
الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه منسط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والفقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها
والا تركها مقصوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه
زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا
بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر
ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السايل
الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين
وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفي الحديث الاخر اشكل العين واسحر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع
الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في
اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين
الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل
قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما وشثن الكفين والقدمين لحمهما والزبدان عظما الذراعين
وسايل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سايل الاطراف

او قال ... سابن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت
الرواية بها واما على الرواية الاخرى وساير الاطراف فاشارة الى خاصة جوارحه كما وقعت
مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود خصها
الاخصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم
ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة
رضى الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطى بقدمه وطى بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق
معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اى
لم يكن له اخمص وقيل مسيح لالحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع
رفع الرجل بقوة التكفو الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما يحط من صبب
وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم صغر الفم
واشاح مال وانقبض وحث القيام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي
جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبذلها في حز اخر بالعامة ويدخلون زوارا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده
ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى
الغالب والاكثر والمعتاد العدة والشى الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله
لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا
فى غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا يؤبن فيه الحرم
اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد
ستترت ويرفدون يعينون والصحاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ
قيل مقتصر فى ثنايه ومدحه وقيل الا من سلم وقيل الا من مكافئ على ما يرضى
من النبى صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث اخر فى وصفه منهوس
العقب اي قليل لحمها واهرب الاشفار اي طويل شعرها الباب الثالث فيما ورد من
صحيح الاخبار وشهيرها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما اختصه به فى الدارين
من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل
الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى
ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها او منتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها
فى اثنى عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما اختصه به فى الدنيا من مزايا الرتب
وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الغرغانى حدثتنا ام القاسم بنت ابى
بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الجانى
حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم
قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى من خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة
واصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل
الآيه فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلنى من
خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآيه وعن
ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة
قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ادم ابرهيم واصطفى من ولد ابرهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش
بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث انس رضى الله عنه انا اكرم ولد
ادم على ربى ولا فخر وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن عايشة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل
عليه السلام فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله
عليه وسلم ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم وعن انس رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل لمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضى
الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض
وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلنى
فى الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح
قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت فى الظلال وفى	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم	اذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
ابن عبد الله رضى الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها ستا لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتى ادركته الصلوة فليصل
واحلت لى الغنايم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى
رواية بدل هذه الكلمة وقيل لى سل تعطه وفى رواية اخرى وعرض على امتى فلم تخف
على التابع من المتبوع وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب
على الوانهم الادم فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل
الحمر الانس والسود الجن وفى الحديث الاخر عن ابى هريرة رضى الله عنه نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جئ بمفاتيح خزاين الارض فوضعت فى يدى
وفى رواية عنه ختم بى النبيون وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه قال صلى
الله عليه وسلم وانا فرطكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضى الان واني
قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى
ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى لا نبى بعدى اوتيت جوامع الكلم
وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضى الله عنهما بعثت بين
يدى الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه الصلوة والسلام قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما اسال يرب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير
من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به من جوف السما وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشى فى
الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وهيات
لك شفاعتك ولم اخبا هاتين لنبى غيرك وفى حديث اخر رواه حذيفة رضى الله عنه
بشرنى يعنى ربه اول من يدخل الجنة معى من امتى سبعون الفا مع كل الف سبعون
الفا ليس عليهم حساب واعطانى ان لا يجوع امتى ولا تغلب واعطانى النصر والعزة
والرعب يسعى بين يدى امتى شهرا وطيب لى ولامتى المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلوة

والسلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا اخبارا الى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا الخبث وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوا هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعن ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم عليهما السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السما وعلى الانبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله تعالى قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه الآيه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآيه قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآيه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من الشام واسترضعت في بني سعد ابن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاث رجال بطشة من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من ثغرة نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيا فاذا انا ثم في يده من نور يحار فيه الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر بيده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلبت وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم اكرمك على الله ان الله معك وملايكته قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان ولياني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قايله تاويل قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الاجري فقال آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر

قدوي

وروى عن شريح بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عيادتهما كل دار فيها احمد
او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع عن ابى الحمراء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا
الله محمد رسول الله ايدته بعلى وفى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى
وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس رضى الله عنهما على باب
الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد
على الجارة القديمة مكتوب محمد نبى مصلح وسيامرين وذكر السمنطارى انه شاهد
فى بعض بلاد خراسان مولودا وله على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول
الله وذكره الاخباريون ان ببلاد الهند وردا اسمه مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ الا ليقم
من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم فى سماعه
وابن وهب فى جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد صلى الله عليه
وسلم الا ما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان
وثلثة وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا وفضل نساءى
على نسائكم تفضيلا الحديث فصل فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة
والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن
خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه
عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الآية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف
بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله
وشرح عجايبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة رايتنا ان
نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على والفقيه ابو
بكر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذرى
حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابو سفين حدثنا مسلم بن الحجاج ح
وحدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى عن انس بن مالك رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة
التى يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجانى جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله
عليهما فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا
انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا
الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير قال الله
تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب
بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم

فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر
الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك
قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني
قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني
خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى
ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيا فان عملها
كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى
استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رضي الله عنه هذا الحديث
عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس
رضي الله عنه خلطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله
مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي
وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء وبلا خلاف
انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا
وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل عليه السلم
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند طيره وشقه قلبه تلك العضة
منفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس جودا في القصتين وفي الاسراء الى البيت المقدس
والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فزاح
اشكال اوهم غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال قال كان ابو ذر
رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل
جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب
ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة
وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس رضي الله عنه اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء
زيادات فذكرنا منها نكتا مفيدة في عرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه كل نبي له
ترجمنا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقال له والابن الصالح وفيه من
طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي
الله عنه ثم انطلق بي حتى انتهيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم
ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى عليه السلم
بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما
يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة
فامهم فقال قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدا لي بالسلام
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه
الى صخرة فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال
هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من
اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام

ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل امتي امة
وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع
لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء
الدنيا ثم من سماء الى سماء لخوها تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى بي الى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس فقيل لهذه سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلي على سبيلك وهي السدرة المنتهى تخرج من اصلها
الفار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق ففشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال الله
تبارك وتعالى سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو
مكتوب في التورات محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني
ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثا اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
شيئا من امته المخمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى الاية راى جبريل عليه الصلاة والسلام
في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في السابعة قال
بتفضيل كلام الله قال ثم علي في فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان
يرفع علي احد وقد روي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء بيت
المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم
رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام ببراق يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
فركبها حتى اتى الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق انه لاقرب
الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الفلاح حي على الفلاح وقال ثم اخذ
الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدم به فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين راوية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض **قال القاضي رحمه الله** ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق
المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما
تحيط بمقدور محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف
شاء ومتى شاء لقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ففوله في هذا الحديث الحجاب واذ

خرج ملك من الحجاب تجب ان يقال انه حجاب يحجب به من وراءه من ملايكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عليه السلام عن الملك الذى خرج من وراية ان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل ان هذا الحجاب لم تختص بالذات ويدل عليه قول
كعب فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملايكة وعندها تحجزون امر الله
لا تجاوزها علمهم واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم اياته او مبادى حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسل
القرية اى اهلها وقوله فقيل من وراى الحجاب صدق عبدى انا اكبر فظاهر انه سمع
فى هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو لا يراه فحجب بصره عن رويته فان صح القول بان
محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع
الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء
بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طايفة الى انه اسراء بالروح وانه رويا
منام مع اتفاقهم ان رويا الانبياء حق ووحى والى هذا ذهب معوية وحكى عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وجهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التى
اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة رضى الله عنها ما فقدت جسد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس رضى الله عنه وهو نايم فى المسجد
الحرام وذكر القصة ثم قال فى اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد فى اليقظة وهذا هو الحق وهو قول
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابى هريرة ومالك بن صعصعة وابى حبة
البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتاده وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج رضى الله عنهم
وهو دليل قول عايشة رضى الله عنها وهو قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طايفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح
واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه لعظيم القدرة والمدح بشريف النبى صلى الله
عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هو لا ولو كان الاسراء بجسده الى
زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ فى المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى
ببيت المقدس ام لا ففى حديث انس رضى الله عنه وغيره ما تقدم من صلاته فيه
وانكر ذلك حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وقال والله ما زال عن ظهر البراق
حتى رجعا قال القاضى رضى الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسراء
بالروح والجسد فى القصة كلها وعليه تدل الآيه وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده وحاله
يقظته استحالة اذ لو كان مناما لما قال بروحى عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه
ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم
يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحاله يقظته الى ما ذكر فى الحديث
من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس فى رواية انس او فى السما على ما روى
غيره وذكر مجى جبريل عليه السلم له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا عليهم السلم فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه
فى فرض الصلاة وفى مراجعته مع موسى عليهما الصلاة والسلم فى ذلك وفى بعض هذه
الاخبار فاخذ بيمنى جبريل بيدى فعرج بى الى السما الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى

فصل فى الاسراء

اسمع

اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما
ذكره قال ابن عباس رضي الله عنه هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نايم في الحجر جاءني جبريل فهمز في عقبه فقمت
فجلست فلم ار شيأ فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي
فجرني الى باب المسجد فاذا دابة وذكر خبر البراق وعن ام هاني رضي الله عنها
ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشا
الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى
الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادي
ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين
في انه بجسمه وعن ابي بكر رضي الله عنه من رواية شداد بن اوس عنه انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم
اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلم حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرة فاذا املك قايم معه ابنة ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة
غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج
سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم
الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس رضي الله عنه اتيت فانطلق بي
الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه لقد رايتني في الحجر وقريش
تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا شديدا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لي انظر اليه وغير ذلك عن جابر رضي الله عنه وقد روى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما
حولت عن جانبها فصل في حجج من قالوا انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده
لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص
اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه
من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه
الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس من
ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث منامًا وقوله في حديث اخر
بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نايم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ
قد تحمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نايم او اول حمله والاسراء به وهو نايم
وليس في الحديث انه كان نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في
المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا
الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو
من هذا قال تغمض عينيه ليلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا
ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع
وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النايم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم ورب ما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا
نايم في الحطيم ورب ما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون سمى

١ بطلان

حجج القصة

هيئه بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم
وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعه فى هذا الحديث انما هى من رواية شريك
عن انس رضى الله عنه ففى منكرة من روايته اذ شق البطن فى الاحاديث الصحيحه انما
كان فى صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال فى الحديث قبل ان يبعث
والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع من رواية انس رضى الله عنه
مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبى صلى الله عليه
وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك وقال مرة وكان ابو ذر رضى الله عنه يحدث واما قول عايشة رضى الله عنها
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينيذ زوجة ولا فى سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الاسراء
متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث
بعام ونصف وكانت عايشة فى الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس
قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس ولجة لذلك تطول ليست من
غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا فى حديث ام هانى وغيره وايضا فليس
حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا فنفى حديث ام هانى وما ذكرت فيه
حجة وايضا فقد روى فى حديث عايشة رضى الله عنها ما فقدت ولم يدخل بها النبى
صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه جسده
لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها سنا ما لم تنكره فان قيل فقد
قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا قلب
ووحى لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف
الامر وقد قال اهل التفسير فى قوله ما كذب الفؤاد ما راى اى لم يوهم القلب العين غير
الحقيقة بل صدق رؤيتها وقبل ما انكر قلبه ما رات عينه فصل واما رؤيته صلى
الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضى الله عنها حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتى عليه قال حدثنى ابى وابو عمر عبد الله
ابن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلى حدثنا
ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن على حدثنا محمود بن آدم
حدثنا وكيع عن ابن ابى خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة رضى الله عنها يا ام
المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
الآيه وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود رضى الله
عنه وسئله عن ابى هريرة انه انما راى جبريل عليه السلم واختلف عنه وقال بانكار هذا
واستناع رويته فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضى
الله عنهما انه راه بعينه وروى عطاء عنه راه بقلبه وعن ابى العالية عنه راه بفواده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضى الله عنهم يسئله هل
راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينيه روى ذلك عنه مرطرق وقال
ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم عليه السلم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالرؤية
وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال
الماوردى قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فراه
محمد عليه الصلاة مرتين وكلمه موسى عليه السلم مرتين وحكى ابو الفتح الرازى وابو
الليث السمرقندى الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع بن عباس وكعب
فقال ابن عباس امتاخن بنو هاشم فتقول ان محمدا قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى
جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلم فكلم موسى

ى البصر

راه محمد

ورآه محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه وروى شريك عن ابى ذر رضى الله عنه فى تفسير الآية
قال راى النبى صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى
وربيع عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادى
ولم اره بعينى وروى مالك بن دخامر عن معاذ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال رايت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد فيم تختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة رضى
الله عنه هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل
انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينيه راه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد
قال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برويته فى الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف فى تاويل الاية عن ابن عباس
وعكرمة والحسن وابن مسعود وحكى عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود راى جبريل عليه السلم وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه
وعن ابن عطاء فى قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره بالرؤية وشرح صدر موسى عليه
السلم للكلام وقال ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى رضى الله عنه وجماعة من اصحابه
انه راى الله ببصره وعينى راسه وقال كل اية اويتها نبى من الانبياء فقد اوتى مثلها
نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشائخنا فى هذا وقال
ليس عليه دليل قاطع ولكنه جايز ان يكون قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه والحق
الذى لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جايزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها فى الدنيا سوال موسى عليه السلم لها ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا
يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه
الا من علمه الله فقال له الله لن ترانى اى لن تطيق ولا تحتمل رويتى ثم ضرب له مثلا لما هو
اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رويته ربه فى الدنيا بل
فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات
فى الاية اذ ليس يقتضى قول من قال فى الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفيها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقد قيل لا تدركه
الابصار لا يحيط به وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل لا تدركه انما يدركه المبصرون
وكل هذه التاويلات لا يقتضى منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن ترانى
الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن
ترانى فى الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع واما جات فى حق موسى
عليه الصلاة والسلم وحيث يتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل وقوله تبت اليك من سوالى ما لم تقدر لى وقال ابو بكر الهذلى فى قوله لن
ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى مات وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رويته تعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضة للافات والفناء فلم يكن لهم قوة على
الرؤية فاذا كان فى الاخرة وركبوا تركيبا اخر وهو قوا قويا ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت مثل هذا لمالك بن انس
رحمه الله تعالى قال لم ير فى الدنيا لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان فى الاخرة
ورزقوا ابصارا باقية رؤى الباقى بالباقى وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع فى حقه وقد تقدم ما ذكرنا فى قوة بصر موسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الاهبة منحاها لادراك ما ادركاه

الابصار

ورويته ما رآياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثنا اجوبته عن الاثنين
ما معناه ان موسى عليه الصلاة والسلم راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى
ربه فصار دكا بادراك خلقه له واستبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى عليه
السلام راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية
في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول
بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على اتى النجم والمتنازع فيهما
بذلك وحديث ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبي صلى
الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر رضي الله عنه في
تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى نورا اني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى
نورة اني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى
نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نورة اني اراه اي كيف اراه
مع حجاب النور المشئ للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث
الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وبلا شك دنا فتدلى والله قادر على خلق
الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نصت
بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله
الموفق

فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله
الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهم وانكره الاخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضي الله
عنه في قصة الاسراء عنه عليه الصلاة والسلم في قوله دنا فتدلى قال فارفض جبريل
فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهنك اروعك يا محمد ادن ادن
وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام
من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلم وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء والكثر
احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا لاقاة
المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع
النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر قال وفي سائر كلمات الاذان مثل ذلك وفي الكلام في مشكل
هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبههما وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لحديثه
صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع
يمنعه فان صح في ذلك خبر احتمل عليه وكلامه تعالى لموسى كان حق مقطوع به نص ذلك
في الكتاب والكره بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء
السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع

صريف

الاقلام فكيف يستحيل فى حق هذا او يبعد سماع الكلام نسبحان من خصّ من شاء بما شاء
ورفع بعضهم فوق بعض درجات **فصل** واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر
المفسرين ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام او
مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازى وقال ابن عباس
رضى الله عنهما هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى
زاد فى القرب وقيل هما بمعنى واحد اى قرب وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس
هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن
الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان
يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى
الرفرف قرب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه
قال فارقنى جبريل وانقطعت الاصوات وسمعت كلام ربى وعن انس رضى الله عنه
فى الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه
قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث
الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وكان كقاب
قوسين قال وقال جعفر بن محمد اداناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لاحد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلم عن دنوه ودنا محمد عليه
الصلاة والسلام الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى
ما اداناه ونزاعن قلبه الشك والارتياب قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه
اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى منزلته منه
اباانت عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه
وقدرته من الله تعالى له مبرة وتاسيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول فى قوله
ينزل ربنا الى سما الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطى من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كاد بنفسه من الحق
تدلى بعدا يعنى عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى
من جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل عليه السلام على هذا كان عبارة عن نهاية القرب
ولطف المحل وانضاح المعرفة والاشراق على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى
له ويتاول فيه ما يتاول فى قوله من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى
اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتجميل المامول **فصل** فى
ذكر تفضيله فى القيامة خصوص الكرامة حدثنا القاضى ابو على قال حدثنا
ابو الفضل وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجى حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذى حدثنا الحسين بن يزيد الكوفى حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع
ابن انس عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدى وانا
اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر وفى رواية ابن زنجر عن الربيع بن انس فى لفظ
هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم
اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الكرم بيدى وانا اكرم
ولد ادم على ربى ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لولو مكنون وعن ابى هريرة
رضى الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق

عن انس صح

يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ
ادم فمن سواه الا تحت لواي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة واول
من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا
حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها وسي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس رضي الله عنه انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر
الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن
ابي هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم
القيامة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم
قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابرهيم عليه السلم فيقول انت دعوتني وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى عليه السلم فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس
يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه الصلاة والسلام
لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ جا الناس الى غيره في ذلك فلم يجدوا
سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا سن بين
البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك لله تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في
الدنيا ولذلك جا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة
دون دعوى وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة
يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه
سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم
يظما ابدا وعن ابي ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايله يشخب فيه ميزابان
من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة
ابن وهب كما بين المدينة وصنعا وقال انس رضي الله عنه ايله وصنعا وقال ابن عمر كما
بين الكوفة ونجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة
ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان
وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة
وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابي
بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم **فصل في تفضيله بالمحبة والخلة**
جات بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب
الله اخبرنا ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم
وحدثنا حسين بن محمد بن الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبيد بن احمد
حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد
حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر خليلا وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال جلس نا من
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام

موسى

موسى عليه السلام كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى وفى حديث اخر فيدخلنيها ومعى فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التوراة انك حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه اختلف فى تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذى ليس له انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمى ابرهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه وخلته الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابرهيم عليه السلم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم تجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلم وهو فى المنجنيق ليرمى فى النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا المودة التى توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب الا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من النبوة لان النبوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلم بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب اولزيادة الاختصاص سنه تعالى لهما وخفى الطافه عندهما وما خالك بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته اولاستصفايه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم تخالهما محب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلما ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم صلى الله عليه وسلم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واصح بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه الصلوة والسلم لفاطمة وابنيها واسامة رضى الله عنهم وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالموفق وهو درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئته اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصوا ما كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولا ينبغى ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح منى	وبذا سمى الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثى	واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا اسرية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد ان نتخذه صنما كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على معاطسهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا نصري الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذى يكون مغفرته فى حد الطمع من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدى بالبشارة قبل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بالسؤال والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذه المقالة من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل فى تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود** قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو على الفسانى الجيانى فيما كتب الى خطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضى حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابى هريرة رضى الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هى الشفاعة وروى كعب بن مالك رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام تحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود الذى وعده وعن ابن عمر رضى الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال فيمشى حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده وعن ابن مسعود رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قيام عن يمين العرش مقاما لا يقوم فيه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون وحوه عن كعب والحسن وفى رواية هو المقام الذى اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابى موسى رضى الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام خيرت بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابى هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك فى الشفاعة فقال شفاعتى لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق الامم قبلهم فسالت الله ان يوتينى شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال حذيفة رضى الله عنه يجمع الله الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت

سبحانك

سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذى ذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله
عنه اذا دخل اهل النار النار والجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فيقول
زمرة النار لزمرة الجنة ما انفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويصيحون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون
ادم وغيره بعده فى الشفاعة لهم فكلهم يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود وذكره عن ابن مسعود رضى الله عنه ايضا وجابر وذكره على بن الحسين عن النبى
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى
الله عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله فيه قال نعم فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى
يخرج الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين وعن انس
رضى الله عنه نحوه وقال هذا المقام المحمود الذى وعده من الشفاعة فى امته يوم القيامة
قال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى ان المقام المحمود هو
مقامه عليه السلم فى الشفاعة مذاهب السلف والصحابة والتابعين وجماعة ائمة المسلمين
وبذلك جاءت مفسرة فى صحيح الاخبار عنه عليه السلم وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة عن بعض
السلف يجب ان لا يثبت ذلك اذ لا يعضدها صحيح اثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها
تاويل غير منكر لكن ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى صحاح الاثار يرده فلا يجب ان
يلتفت اليه مع انه لم يات فى كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفى اطلاق ظاهر
من القول وشنعة وفى رواية انس وابى هريرة رضى الله عنهما وغيرهما دخل حديث بعضهم
فى حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم فى بعض
وعن ابى هريرة رضى الله عنه ويدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون ادم عليه السلم فيقولون زاد بعضهم انت
ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملائكته وعلمك اسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله ونهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا عليه السلم فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى قال فى رواية انس
رضى الله عنه ويذكر خطيئته التى اصاب سؤاله ربه بغير علم وفى رواية ابى
هريرة رضى الله عنه وقد كانت لى دعوة دعوتها على قومى اذهبوا الى غيرى اذهبوا
الى ابرهيم فانه خليل الله فيأتون ابرهيم عليه الصلوة والسلم فيقولون انت نبى الله
وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد
غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسى نفسى لست
لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفى رواية فانه عبد اتاه الله التوراة
وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التى اصاب وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فيأتون عيسى عليه الصلوة والسلم فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى
الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربى فيؤذن لى فاذا رايته وقعت ساجدا وفى رواية فاتى
تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها
الآن يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا
لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة رضى الله عنه فيقال يا محمد ارفع
راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسى فاقول يا رب امتى يا رب امتى
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم

شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال
مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يارب امتي يارب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة
او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل
ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل
وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية
قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يارب ما بقي في النار الا
من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد
وحذيفة رضي الله عنهم مثله قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتاتي
الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة
فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم
كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى تجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم
يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي
منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار
ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة
وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد ففتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن
رواية انس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ
هذه الاثار ان شفاعته عليه افضل الصلاة والسلام ومقامه المحمود من
اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة
الناس من الموقف ثم يوضع الصراط وتحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة
وحذيفة رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل
النار منهم ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم في من قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها
واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم
انها استجاب لهم ويباح فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوات مستجابة
ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يحصر لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤوه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد
ابن زياد وابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا
بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اخبر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية الى

زرعة عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن انس بمثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم
هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السوال والرغبة جزاه الله احسن ما جزى
نبيا عن امته صلى الله عليه وسلم كثيرا **فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة**
الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري
حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن بكر التمار حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن مسلمة
حدثنا ابن وهب عن ابي لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال الله الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة
رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج
مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو تجري ولم يشق شقا
عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في
الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة رضي الله عنه فيما ذكر عليه الصلاة والسلام
عن ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل الى حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابها المسك وفيه ما
يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم **فصل** فان قلت
اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كون اكرم البشر وافضل الانبيا
فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسري قال
حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي اخبرنا ابن سفين حدثنا مسلم
حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول
حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا
الطريق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي
هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول ذلك ورسول الله بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروا بين انبيا الله وفي رواية لا تخيروا بيني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه ومن قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
وفي حديثه الاخر فجاء رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلما
في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث الا يفضل بينهم تفضيلا يودي
الى تنقيص بعضهم او الى الغض منهم لا سيما في جهة يونس عليه الصلاة والسلام اذ اخبر الله عنه

بما اخبر ليلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة والحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تقاعد عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان ابن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده
حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على
حد واحد اذ هى شئ واحد لا يتفاضل وانما التفاضل فى زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة
عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتى
الحكم صبيا واوتى بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد ههنا فى الدنيا وذلك
بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر
او يكون فى ذاته افضل واظهر وفضله فى ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته
واختصاصه من كلام او خلة او رويته او ماشا الله من الطافه وحفه ولايته واختصاصا
وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ
الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بتسببها جرح
فى نبوته او قدح فى اصطفايه او حط فى رتبته ووهن فى عصمته شفقة منه صلى الله
عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا
الى القايل بنفسه اى لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الافتراء لم
تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا ان شا الله
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل فى اسمايه صلى الله
عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه قال
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح
حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر
وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله فى كتابه محمدا
واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره
فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو
صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشهر فى تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده تحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال له عليه الصلاة والسلام مالم يفتح
على غيره وسمى امته فى كتب انبيايه بالحامدين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين
الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فمن اخرهما ان الله جل اسمه حمى ان
يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبيا فمنع
الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس
على ضعيف القلب او يشك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم
الى ان شاع قبل وجوده عليه الصلاة والسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم احمدهم هو والله
اعلم حيث تجمل رسالاته وهم محمد بن احيحه بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة
الانصارى ومحمد بن برا الكلبى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران
الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لاسابع لهم ويقال اول من سمى محمدا ابن سفين
واليمن يقول بل محمد بن نجل من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة
او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى تحققت السمتان له

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر
فمفسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد
انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على
الدين كله وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى اى على زمانى وعهدى اى
ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لى خمسة اسماء قيل انها موجودة فى الكتب
المتقدمة وعنه اولى العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روى عنه عليه الصلاة
والسلام لى عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسيره
انه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى وجعفر بن محمد وذكر
غيره لى عشرة اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
التوبة ورسول الملاحم وانا المقفى ففيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربى
وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا فى كتب الانبيا قال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا يقثم السنة بعد الفترة فقد يكون القثم بمعناه وروى عنه صلى الله
عليه وسلم لى فى القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه كان صلى الله عليه وسلم يسمى لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى المحمة وروى
المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب واما نبى الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما
وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين
رؤف رحيم وقد قال فى صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضا وبعثه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى رحمة
لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واما
رواية نبى المحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم
وهى صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابى موسى رضى الله عنهما وفيه ونبى الرحمة
ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه عليه الصلاة والسلام انه
قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى جميع قال والقثم الجامع للخير وهذا اسم
هو فى آل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جات من القابه عليه الصلاة والسلام
وسمائه فى القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين
والروف الرحيم والامين وطه ويس وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله
والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبى الامى وداعى
الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها فى كتب الله المتقدمة وكتب
انبيائه واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقى والمصلح والطاهر والمبين والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد آدم
وسيد المرسلين وامام المتقين وقايد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللوا والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب
وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومزايله

اصل بيته

صلى الله عليه وسلم فى الكتب المنزل والمختار ومعلم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى
البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمايه فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب وحطايا من الفرسن حطايا
حاوى الحرم والخاتم والخاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذى ختم الانبيا
والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانيه مشخ والمخمنا واسمه ايضا فى
التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا
فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد تحمل على ان القضيب المشوف
الذى كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها
فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه
بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم يكن حينئذ الا للعرب والعمايم تيجان
العرب واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى

فصل فى تشريف الله تعالى له بما سماه من اسمايه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى قال القاضى ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لاخراطه فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله
الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى
الفصل الذى قبله فرايتنا ان نضيفه اليه ونجمع شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيايه
بكرامة خلعها عليهم من اسمايه كتسمية اسحق واسمعيل بحليم وحليم وابرهيم عليه السلام
بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى عليهما السلم بتبتل وموسى عليه الصلوة والسلام بكريم
وقوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل عليه السلم بصادق الوعد كما نطق
بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه من كتابه
العزيز على السنة انبيايه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم
نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ منها لتاليف فصلين جمعنا منها فى هذا الفصل
خمسة وثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهمنا الى ما علمنا منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا
الان ويفتح غلقه فمن اسمايه تعالى الحمد ومعناه الحمود لانه حمد نفسه وحمدة عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد
واجل من حمد وقد اشار الى هذه احسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن اسمايه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه بذلك فقال بالمومنين
رؤف رحيم ومن اسمايه الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمحقق امره وكذلك المبين
اى البين امره والهيئة بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم
وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين
وقال وقل انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمحقق
صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمايه تعالى النور ومعناه ذو
النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المومنين بالهدايه
وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال
فيه وسراجا منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمايه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده
يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول
عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمايه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمايه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما

بقوله

بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه الصلاة والسلم
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه عليه الصلاة والسلم
ومن اسمايه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسماعيل وسنجعله عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمايه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم
الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود جبار فقال تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى صلى الله عليه
وسلم اما لاصلاح الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى عنه فى القران جبرية المتكبر التى لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار
ومن اسمايه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشئ العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
تعالى الرحمن فسل به خبيرا قال القاضى ابو بكر بن العلا المامور بالسوال غير النبى صلى الله
عليه وسلم والمسول الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السايل النبى صلى الله
عليه وسلم والمسول الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته خبير لامته بما اذن له فى اعلامهم به ومن
اسمايه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق
من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدى الفتح
والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل مر وايته
الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه وفيه من قول الله تعالى
وجعلناك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنايه على ربه وتمجيد
مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق والمبتدى بهداية
الامة او المبدا المقدم فى الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه الصلوة والسلم كنت اول الانبيا
فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمايه تعالى الشكور ومعناه المثيب
على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلم فقال
انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون
عبدا شكورا اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة
من ذلك لقوله لين شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه
فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمايه تعالى الاول والاخر ومعناها السا
للاشيا قبل وجودها والباقى بعد فنايها وحقيقته انه ليس له اول ولا اخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا فى الخلق واخرهم فى البعث وفسر بهذا
قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله
عليه وسلم وقد اشار الى مخرمنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله نحن
الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع وانا خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمايه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصف الله
بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة
والسلم ومن اسمايه تعالى الصادق فى الحديث المانور وورد فى الحديث ايضا اسمه
صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق ومن اسمايه تعالى الولى والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلم
انا ولى كل مؤمن وقال الله تعالى النبى اولى بالمومنين وقال عليه الصلاة والسلام

من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله نبيه
بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القران والتوراه وامره بالعفو وقال خذ العفو
وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله خذ العفو
قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراه والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس
بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمايه تعالى الهادي وسنه بمعنى توفيق الله لمن
اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقدم وقيل في
تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وقال فيه ود اعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق
على غيره تعالى ومن اسمايه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه
تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل المؤمن نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الاخرة من
عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصرف منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في
الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله امينا فقال اطاع
ثم امين وكان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مصيمنا في قوله

ثم اغتدى بيتك المهيمن	من خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن
ومن اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمي
بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب
الانبيا عليهم السلام في اسمايه عليه الصلاة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتزه باتباعه
عنها كما قال ويزكيهم وقال وتخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر
من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنيه ومن اسمايه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة
القدرة وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا
اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمايه تعالى فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا الفا من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم **فصل قال القاضي ابو الفضل** وفقه الله وها انا اذكر نكته اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف
الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان
تعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلى صفاته
لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق كما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمايه وكفانا هذا قوله ليس كمثله
شي وقد درس من قال من العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصود نا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ للفظ وجلت

الذات القديمة ان تكون لها صفة حدوثية كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم
القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشمل جوامع مسايل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق
وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا لخواطر واغراض وجد ولا لمباشرة ومقاساة
ظلم وفعل الخلق لا تخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشائخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني
من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبهة ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل
ومن قطع بوجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول
ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه
لها بلا امتزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصورته وهمك فالله خلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شي والثاني
تفسير لقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشي
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون نثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه
وجنبنا طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر
نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتخصيص جوزها
حق لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول
من ابطل نسخ الشرايع رده بل الفناه لاهل ملته المليين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وتبينا ان
ثبت في هذا الباب اتهاك معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظم قدره عند ربه
واتينا منها بالمحقق والمصح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واصفنا اليها بعض ما
وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد
سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله
وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جيئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي
السنجي عن ابي محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد
ابن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن
ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي رضي الله عنه اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم
وروى مسلم وغيره ان ضماما لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال اعد علي كلماتك هولاء فلقد بلغن
قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارف
فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا
البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ خطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا
من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه
رجل مثل القمر ليلة البدر لا تخيبن بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر

الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى
والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شىء الا
كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويُغلب فلا يضجر وبنى بالمهد وبنجران الموعود به
واشهد انه نبى وقال نفطويه فى قوله يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحه

ولو لم تكن فيه ايات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد ان ناحد فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى معجزات القران وما فيه من برهان ودلالة
فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداءً ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سننه فى بعض الانبيا
عليهم السلم وذكر بعض اهل التفسير فى قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجايز
ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر
كالملايكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع الامم ولا مانع فهذا من دليل العقل واذا
جاز هذا ولم يستحيل وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم فى جميع
ما اتوا به لان المعجز مع التحدى من النبى قايم مقام قول الله صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفا فى مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة فى لغة من همز ماخوذة من النبا وهو
الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبى منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما نبئه الله به ومنبئا بما اطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه
ان له رتبة شريفة ومكانة منيفة عند مولاه منيفة فالوصفان فى حقه موتلفان واما الرسول
هو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل فى اللغة الا نادرا او ارساله امر الله له بالابلاغ الى من
ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه
الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه واختلفت العلماء هل النبى والرسول بمعنى او
بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبى الا رسولا ولا الرسول الا نبيا
وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص
النبوة والرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وجهتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارها
فى الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبى الى امة او نبى ليس برسل الى احد وقد ذهب
بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتداء ومن لم ياتِ به نبى غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح الذى عليه اجم العنصران كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا واول الرسل
ادم عليه السلم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم ان الانبياء ماية الف واربعة وعشرون الفا نبى وذكر ان الرسل ثلثمايتر وثلاثة
عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبى ولا وصفة ذات
خلافا للكرامية فى تاويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحى فاصله الاسراع فلما كان
النبى يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمى وحيا وسميت انواعات الالهامات وحيا تشبيها بالوحى
الى النبى وسمى لحظ وحيا لسرعت حركة يد كاتبه ووحى الحاجب واللحظ وحيا لسرعة اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا
الوحا اى السرعة وقيل اصل الوحى السر والاخفاء ومنه سمى الالهام وحيا ومنه قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليايهم اى يوسوسون فى صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اى
القى فى قلبها وقد قيل ذلك فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه
دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جات به الانبيا عليهم السلم معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل

لله دل

الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى
بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله وتحديه
من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه
وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل
معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه ونحن في كثرتها لا نحيط بها ضبطا
فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا
اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعدد ها وقدرها معجزة ثم منها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فالبرية ولاخلاف بمجيء النبي بها وظهورها
من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا احاجة فهو كانكاره محمد صلى الله عليه وسلم في
الدنيا وانما اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم
ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا وتجري هذا
المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه الصلاة والسلم ايات وخوارق عادات ان لم
يبلغ واحد منها مبلغ القطع فبلغه جميعها فالبرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف
مؤمن ولا كافر انه قد جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا
ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع
الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير
الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات
المأثورة عنه عليه الصلوة والسلم معلوم بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر
عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يرتهن عزمنا خلاف اخرق مغفل غرا الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع باق الشك على
قلوب ضعفاء المؤمنين بل يرغم بهذا انفه وننبذ بالمراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء و
تكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن سمى حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان
ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وغزوة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يرو عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق اذهم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة
ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سموه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر
بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه
في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف
الطارية واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور

الازمان الاظهر او مع تداول الغرف وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجهاد المجد على اطفاء نورها الاقوة وقبولا والطاعن عليها الاحسن وغلبلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباءه بما يكون وكان معلوما من اياته على الجملة بالضرورة وهذا
حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما الله تعالى
وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة
مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل
وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر كون بغداذ موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من
الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام واحزاء
النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي رحمه الله تعالى يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله تعالى
خالفهما رضي الله عنهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى
اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات
نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل في اعجاز القرآن** اعلم وفقنا الله
واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة ونحصلها من جملة
ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام
قد خصوا من البلاغة والحكمة بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في
المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون فياتون
من ذلك بالسحر الحلال ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالكلام الذي يطربون مزاوصافهم
اجلم زمط اللالا فيخدعون الالباب ويزلزلون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الاحن
ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون المنبيه
خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكمالات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا الباين فلهما في
البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حوزوا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل
باب من ابوابها وعلوا صرحا للبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث و
السمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم
بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته
وفصلت كلماته ونبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه
وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهي افصح ما
كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر ارجالا واوسع
في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم
في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل
فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا قل لين اجتمعت الانس والجن

يتوسلون

على ان ياتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى
اسهل ووضع الباطل على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد والاول على الثانى فضل وبينهما شاو
بعيد فلم يزل يفرخهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم
وتخطئ اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الههم وآباهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم
وهم فى كل هذا اكفون عن معارضته مجمعون عن مماثلته محادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب
والاعتراض بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء للعجز
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تقاطع ذلك
من سخايفهم كمسيلمة عمى كشف عوراتهم وسلبهم الله ما الغوه من فصيح كلامهم والاقلم حيف
على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولو عنه سربرين وانواعه عين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تومر فسجد وقال سجدت لفصاحة
وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا هو بفتى على راسه يشهد شهادة
الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن حسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من
اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتاملتها فاذا اقترح فيها ما انزل على عيسى بن مريم عليه السلم
من احوال الدنيا والاخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وحكى
الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت اوتعد هذا فصاحة بعد قول
الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية فجمع فى اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبى صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه فى فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز
المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى
ولكم فى القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله اذفع
بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعى ماءك
ويا سماء اقلعى الآية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الآية واشباهها
من الآى بل اكثر القرآن تحققت ما بينته من اعجاز الفاظها وكثرة معانيها ودقيق اجتماعها
وحسن تاليف حروفها وتلاوم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر
مليت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات فى حرس المستنبطات عنها ثم هو فى
سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام
ويذهب مآلى البيان اية تتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف عليه السلم على طولها ثم اذا تردد ت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردادها
حتى تكاد كل واحدة تنسى فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن وجه مقابلها ولا تفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثانى من اعجاز صورة نظمه العجيب
والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناحى نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت
مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد
مماثلة شىء منه بل حارت فيه عقولهم وتراجعت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى جنس
كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وقرا عليه القرآن رق فجاء ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار منى والله ما يشبه

الذى يقول شيأ من هذا وفى خبر الآخرين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن وما هو
بزمزمته ولا سجعه قالوا هو مجنون قال ما هو بمجنون ولا خنقه ولا وسوسة قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه قريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشأ
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثة ولا عقدة قالوا فما نقول قال ما انتم بقايلين
من هذا شيأ الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به بين
المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل تحذرون
الناس فانزل الله تعالى فى الوليد ذرنى ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القران يا قوم قد علمتم انى لم اترك شيأ الا وقد علمته وقرانه وقلته والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النظر بن
الحرث لخوه وفى حديث اسلام ابى ذر رضى الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت بشعر
من اخى انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجا الى
ابى ذر بخبر النبى صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتيم وما يلتيم على
لسان احد يعدى انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل
واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج
عن قدرتهما سابق لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ايمة المحققين وذهب
بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب وانى على ذلك يقول تحجبه
الاسماع وتنفر منه القلوب فالصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن فى
علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم تخف عليه ما قلناه وقد
اختلف ائمة اهل السنة فى وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع فى قوة جزالته
وفصاحة الفاظه وحسن نظمه واليجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون فى مقدرة البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه
وعلى الطريقتين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور البشر
وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ فى التعجيز واجرى بالتقريع والاحتجاج بحجى بشر
مثلهم بشى ليس من قدرة البشر لازم وهو ايراد ايه واقع دلالة وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف
واباية الضيم بحيث لا يقرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت
من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالبغ وقطع العذر واحكام الحصم لديهم وهم ممن
لهم قدرة على الكلام وقدرة فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفذ ما
عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما خلوا فى ذلك خبية من بنات شفاههم ولا اتوا ببنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ايلسوا فما بنسواء
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجاز فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه
من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين
كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله اذا جا نصر الله والفتح
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس فى الاسلام افواجا
فاما ما ات عليه السلم وفى بلاد العرب كلها سوضح لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين فى الارض
ومكن لهم دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام
زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقوله انا نحن

نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعدم شيء في تغييره وتبديل محمد من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم بنيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآيه وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآيه وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآيه فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تخفون في انفسهم ما الله مبديه الآيه وقوله ومنهم الذين يستمعون اليك الآيه وقوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم الآيه وقوله ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكانت المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انبانا به من اخبار القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا ان صلى الله عليه وسلم امي لا يقراء ولا يكتب ولا اشتغل بممارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا اجمل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا لقصص الانبياء عليهم السلم مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبيا وبداء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى عليهما الصلوة والسلم مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب بما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موقن آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يكف عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجهم عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه الصلاة والسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيايهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وحكم الرجم وما حرم اسرايل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل كثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهته وادعى ان بما عندهم من ذلك ما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعي الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما عجز ومتوان يلقى على صحته مزكيا يريه ولم يبرح ان واجرا منهم اظهر خلافا في قوله من كتبه ولا ابرا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه نبية لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه النبية في اعجازه من غير هذه الوجوه اني ورد ت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من

يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود شاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة
نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا
منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن
قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب
الاخبار عن الغيب ولكن فيها مزيد التعجيز مما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق
قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة
خطره وعلى المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى
ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته وتدبره الجزايا
وتكسبه هشاشة تميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية وبدل
على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره كما روي عن نصراني
انه مر بقاري فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجاء والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها الاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في
الصحيح عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان
يطير وفي رواية اخرى وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي
صلى الله عليه وسلم فيما جائه من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبه بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عنه وفي
رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبه مصغ ملقى يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري ما يراجعه ورجع الى اهله ولم
يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط
فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف
بها عن ذلك حكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فريصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي
ماكي ويا سما اقلعي فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال يلبغ الاندلس في زمنه فحكى انه رام شيأ من هذا
فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على منوالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة
حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المحدودة كونه آية باقية لا تقوم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم بمرة خمس مائة سنة وخمس وثلثين سنة
لاول نزوله الى وقتنا هذا لجنة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طاحرة باهل البيان
وجملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحدين فيهم كثير والمعادي
للشرع عندنا منهم من اتى بشيء يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزر شحيح بل المأثور عن كل من رام
ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي
الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه لا يمله وسامعه لا تمجه بل الاكباب على تلاوته
يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعاوى اذا اعيد وكتابا يستلذ به في الخلوات ويونس
بتلاوته في الازمان وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم

القرآن

القران بانه لاتخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس
بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا يزيغ به الاهواء لا يلتبس به الالسنة هو الذى لم يئته الجن
حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم
تعهد العرب عامة ولا لاحد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط
بها احد من علما الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد لم المتحفظون بعد ان يتصوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اولم يروا الذى
خلق السموات والارض بقادر على ان خلق مثلهم وقوله تحييها الذى انشاها اول مرة ولو كان
فيهما الة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم
واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من
شئ ونزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شئ ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل وقال
عليه الصلاة والسلم ان الله انزل هذا القران امرا وزجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى
عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه وقال فيه
ولا يختلف ولا يتشان فيه بنبا الاولين والاخرين وفى الحديث قال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلم
انى منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلوم
وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كميل عليكم بالقران فانه فصل العقول ونور الحكمة وقال
تعالى ان هذا القران يقص على بنى اسرايل اكثر الذى هم فيه مختلفون وقال وهذا بيان للناس
وهذه الاية تجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب قبله التى الفاظها على
الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن
وصفه واعجازه وبلاغته وانما هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم
يعهد ولم يكن فى حيز المنثور لان المنظوم اسهل على التفويس واوعى للقلوب واسبح فى الاذان
واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى لحفظه لمتعلمه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا تحفظ كتبها
المواحد منهم تكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان فى اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزايه بعضا وحسن ايتلاف انواعها واقسامها وحسن التخلص
من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
الى غير ذلك من فنونه دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اولا ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
وتعجيزهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملايهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزى الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هولاء مثل مصابهم
وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخر فى ذكر داود عليه
السلم وقصص الانبياء كل هذا فى اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التى انطوت عليه
الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة
لم نذكرها اكثرها داخل فى باب بلاغته فلا كتب ان تعد فنا مفردا فى اعجازه الا فى باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه وفضايله لا اعجازه ه

وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فيتمم عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجايبه التي لا تنقضي وبالله نلتمس التوفيق فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه حدثنا الحسين ابن محمد الحافظ من كتابه قال حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي قال حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية لمجاهد وكنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه الاسود قال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة ونراد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد اخر هل رأوا هذا فاتوا فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى ننظر واراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي في مرواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حرا بينهما ورواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما مجاهد ورواه عن حذيفة رضي الله عنه ابو عبد الرحمن المسلي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم تخف على اهل الارض اذ هو شئ ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالوهم لكثرتهم على الكذب لما كان علينا بحجة اذ ليس القمر في حق واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بعض ما هو مقابل لهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا تجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدربون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وايات القمر كانت ليلا والعادة بين الناس بالليل الهدو والسكون واجياف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيأ الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثير ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار وجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس رضي الله عنها مرطهرين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون

وقد روى

وقد رؤى النهار ولم يجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روي حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه ببغداد في علية قال حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن النحاس حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضأ منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس رضي الله عنه قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه اولا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس رضي الله عنه وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهو نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمسة عشر مائة وروي مثله عن ابن عمر وعن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عند في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فمجه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعها بين يديه كما امر وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي اتى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء كانت معروفة ما معنا من رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين رضي الله عنه ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى الخبر به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الحاء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته صلى الله عليه وسلم وانبعاثه بسببه ودعوته مما روي مالك في الموطا عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم قد وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من الماء بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فاخرقوا من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماء ها هنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضي الله عنهما وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة ويبرها لا ترى خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبائها قال البراء رضي الله عنه والذي بعثه منها فبصق ودعا وقال سلمة رضي الله عنه فامتاد عا وامتابصق فيها فجاشت فاروا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في

حديث البخاري ومسلم بعد ذكر الحديبية

الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن
وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا
بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التمح فيها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملوا كل اناء
معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا ورُوي مثله عن عمران بن حصين وذكر
الطبري حديث ابي قتادة رضي الله عنه على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه ايات ومعجزات للنبي
صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والمؤيد زهاء
ثلاث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة رضي الله عنه احفظ علي ميضاتك فانه سيكون
لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه حين اصاب النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمها انهما يجدان امراة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فحلب في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما وامر الناس فملوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملوه قال عمران وخيل الي انهما لم
يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملاؤوا لها وقال اذهبي فانا لم ناخذ
من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة دعفقة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا
ثم غفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من
العطش حتى ان الرجل ليخر بعيره فيعقر فيشرب فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السما فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم نجاوز
العسكر وعن عمرو بن شعيب ان اباطالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي
المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة ببرعاء والاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا الغنوي حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي
الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر
وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة رضي الله عنه المشهور واطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء امه رضي الله عنه تحت يده
اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر رضي الله عنه في اطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فاقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن مينا وايمن وحديث ابي ايوب
رضي الله عنه انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى
تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب رضي
الله عنه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وايم
الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون
وفضل في القصعتين فحملة على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه
ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا قصة اصابت الناس

دعفقة

مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فرعا ببقية الازواد فجا الرجل باخنية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الا ملوه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى بزينب امرني ان ادعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر فجعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور حوالي ما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان فاطمة عليها السلام طحنت قدرا لغرايها ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدا معها فاسرها فغرفت منها لجيرانها صحفة صحفة ثم غرفت له عليه الصلاة والسلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها للتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ساعي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية ذكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن رضي الله عنه غير بعيد الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في تمرها سنتين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره فجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعى فاوفى منها جابرا رضي الله عنه غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهودا فيجبرا من ذلك وقال ابو هريرة رضي الله عنه اصابنا الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فات به فادخل يده فاخرج قبضة وبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما الى ان قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضوان الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح فراهدى اليه واسره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له انه يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خلد بن عبد الرحمن انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا ينبح الشاة فلا تبدد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجمع فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من ثريد اوخسة وينبح جزورا ولوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكرانهم كانوا زهاء ثلاث مائة حتى ملأ الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله عليه خلقوا عشرة عشرة ووضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ماشاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال ارفع فما ادرى حين وضعت كان اكثر او حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة فى الصحيح وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواة عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يحصر بعدهم واكثرها فى قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابى عمر الطلمنكى عن ابى بكر بن المهندس عن ابى القاسم البغوى حدثنا الحسن بن عمران الاخفشى حدثنا ابو حيان التيمى وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى بشاطى الوادى فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابى ايذن لى اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة تسجد لزوجها قال فايذن لى ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفى الصحيح فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيا يستتر به فاذا شجرتين بشاطى الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداها فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى على باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التيما على باذن الله فالتامتا وفى رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقى بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسى فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد رضى الله عنهما نحوه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه هل تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذى بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن فوالذى نفسى بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة رضى الله عنه كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير وذكر نحو امن هذين الحديثين وذكر فامر ورديين فانضما وفى رواية اثنتين وعن غيلان بن سلمة الثقفى مثله فى شجرتين وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم على وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه آذنت النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعال يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن

عباس

عباس رضي الله عنهم وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها ومعناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فسارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر بن فورك انه صلى الله عليه وسلم سافر في غزوة الطايف ليلا وهو وسن فاعترضه سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على سافتين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا فقال احب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراى الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل عليه السلام وقال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لاله وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن ان عليه الصلوة والسلام شكى الى ربه مر قومه وانهم تخوفونه وساله اية يعلم بها ان لا خافة عليه فاوحى الله اليه ان ايت وادى كذا فان فيه شجرة فادع غصنا منها يا تك فتمثل في الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ماشاء الله ثم قال له ارجع كما جيئ فرجع فقال يا رب علمت ان لا خافة علي وخوفه عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله فقال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل في قصة حنين الجذع** ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة رضي الله عنهم كلهم جيئ بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا ذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى اخرج المسجد بخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي رضي الله عنه فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفراني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فاخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحايط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوصك وثمرك وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله منك ثم اصغى النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابالي فيه نسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقايه رواه عن جابر رضي الله عنه حفص بن عبيد الله وبقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك رضي الله عنه الحسن وثابت واسحق بن طلحة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الودك عن ابي سعيد رضي الله عنه وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد رضي الله عنه وكثير بن زيد عن المطلب

وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه عن الصحابة ممن ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى
من لم نذكره ونحن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
فصل
ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التيمي قال حدثنا القاضي ابو
الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد
الزبيري حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال لقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نأكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصا فسبحن ثم صبهن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعن التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر رضي
الله عنه فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان
رضي الله عنهما وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه
عن عليه الصلاة والسلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي
الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد
له وفي حديث العباس رضي الله عنه اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة و
دعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملائه فامتنت اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين
وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه السلم بطبق فيه رمان
وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه في حرا وزاد معه وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم
وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعد قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبت قريش فاطه شبرا اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حرا الى يا رسول الله وروي ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير
المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت
ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله
في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد ومر ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج
الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا له ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة
تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى الشجرة فلما جلس مال الفي اليه
فصل في الايات
في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابي حدثنا
الحافظ القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي
عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبيا فقال من هذا قالوا يا نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب

وطرحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن انا قال انت رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه بينما راع يرعى غنما اذ عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعى منه فاقعى الذيب وقال للراعى الا تتقى الله حلت بينى وبين رزقى قال الراعى العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين تحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قم فخذ غنمك ثم قال صدق والحديث فيه قصة فى بعضه اطول وروى حديث الذيب عن ابى هريرة رضى الله عنه وفى بعض الطرق عن ابى هريرة فقال الذيب انت اعجب واقعا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جند الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجود النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك فجزها ابو فراسها فوجدها كذلك وذبح الذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها والمكلم للذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابى سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابى سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجراءة احد ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذيب فتعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لان ذكرت هذا بمكة لتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس رضى الله عنه لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رجل اتى النبى صلى الله عليه وسلم واسن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول كيف بالقنم قال اضرب وجوهها فان الله سيودى عنك امانتك ورد ها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايط انصارى وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضى الله عنه نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايطا لجابر بعير فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم قال وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس وسئله عن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنه وفى خبر اخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم اراد وا ذبحه وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل بين صغره فقالوا انهم وقد روى فى قصة القضباء وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتمريتها له بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب الوحوش عنها وندايها لها انك محمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايينى وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعالها بالبركة وروى عن انس وزيد ابن ارقم والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبى صلى الله عليه وسلم تستره وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتته

الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن فرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات حنت
اوست او سبع ليحرها يوم عيد فاراد لفن اليه باليمن يبيرا وعن ام سلمة رضى الله عنها كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يرسول الله فقال ما حاجتك قالت صاد في هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يرسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب
ماروي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ رضى الله عنه
باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في مصنفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه رضى الله عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى
جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على
الطريق واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم حلاها
فصار لها سمتا وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روى عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام
الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه
كان يوجه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بير جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي انت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكر وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند
ثم قال لرافع املكها ومالك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاءها هو الذي ذهب بها وقال لزهير عليه الصلاة
والسلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح يا زهير فيك حتى نفرغ من صلاتنا
وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الباب كثير وقد جينا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة وبالحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه اليهم **فصل في احيا الموتى وكلامه وكلام الصبيان والمواضع**
وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد
محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التيمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا
ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد
حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن
عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضى الله عنه ان يهوديا اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم خيبر شاة
مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني
انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روي هذا الحديث انتن وفيه
قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روي عن
ابي هريرة رضى الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض لها وروى ايضا جابر بن عبد الله رضى
الله عنه وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يها قبلها وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه
فتجاوز عنها وفي الحديث عن انس رضى الله عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وفي رواية ابن
عباس رضى الله عنهما انه دفعها الاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله
الذي سحر قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى انه قتله وحكى ابن اسحق ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مما اكرمه الله من النبوة
وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته

وقد ذكرنا

ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك عن ابى هريرة وانس وجابر رضى الله عنهم وروى الحديث
البزار عن ابى سعيد رضى الله عنه فذكر مثله الا انه قال فى اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله
فاكلنا وذكر اسم الله فلم يضرنا احد قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه وقد خرج حديث
الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر
فى هذا الباب فمن قايل يقول هو كلام تخلقه الله تعالى فى الشاة الميتة او الجرا والشجرة وحروف
واصوات تحدثها الله فيها ويسمعها من شاء دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب
الشيخ ابى الحسن والقاضى ابى بكر رحمهما الله تعالى واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة او لا ثم
الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابى الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم يجعل الحياة شرطا
لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة
عن الكلام النفسى فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى خلافا للجبائى
من بين سائر متكلمى الفرق فى احالة وجود الكلام اللفظى والحروف والاصوات الا من حى مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك فى الحصى والجذع والذراع
فقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان
نقله والتهم به اوكد من التهم بنقل تسبيحه وحنينه ولم ينقل احد من اهل السير والروايات شيا
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه فى النظر والموفق الله وروى وكيع
ورفعه عن نهد بن عطية رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بصبى قد شب
لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن سقيب رايت من النبى
صلى الله عليه وسلم عجبا جئ بصبى يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف
بحديث سناصورة اسم راويه وفيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة
فى حجة الوداع وعن الحسن ان رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بئية له فى
وادى كذا فانطلق معه الى الوادى وناداها باسمها يا فلانة اجيبى باذن الله فخرجت وهى تقول
لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لى بهما
وجبت الله خيرا لى منهما وعن انس رضى الله عنه ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز
عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينى على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فابرحنا حتى
كشف الثوب عن وجهه فطعم فطعمناه وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وكان قتل باليمامة فسمعناه
حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله وابو بكر الصديق وعمر الشهيد وعثمان البر
الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ان زيد بن
خارجة خر ميتا فى بعض ازقة المدينة فرفع وسجى اذ سمعوا بين العشاءين والعتمة
يصرخ من حوله يقول انفسوا انفسوا خسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبى الامى
وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق صدق وذكر ابا بكر
وعمر وعثمان رضى الله عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم عاد ميتا كما كان فصل فى ابراء المرضى وذوى العاهات اخبرنا ابو الحسن
على بن شرف فيما اجاز لنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا
ابو محمد بن النحاس حدثنا ابو الورد عن البرقى عن ابن هشام عن زياد البكاى عن محمد
ابن اسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكروهم بقضية احد بطولها
قال وقالوا قال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينا ولنى السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان حتى وقعت على
وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة
عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدرى رضى الله

عنه عن قتادة ويصق على اثر سهم فى وجه ابى قتادة فى يوم ذى قرد قال فما ضرب على ولا قاح
وروى النساى عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لى عن بصرى
قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قل اللهم انى اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة
يا محمد انى اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فرجع وقد كشف الله
عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حشرة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قدرها
به فاتاه بها وهو على شفاء فشربها فشفاه الله وذكر العقيلى عن حبيب بن قديك ويقال
قريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه
فابصر فرايته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين وروى كلثوم بن الحصين يوم احد
فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا ونفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد
ونفل فى عينى على رضى الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فاصح باريا ونفث على ضربة بساق سلمة
ابن الاكوع رضى الله عنه يوم خيبر فبريت وفى رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبريت وعلى ساق على بن الحكم يوم الخندق اذا انكسرت فبريت
مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى على بن ابى طالب رضى الله عنه فجعل يدعو فقال النبى صلى
الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم
بدر يد معوذ بن عفراء فجا يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه
ابن وهب وفى رواية ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وانه امر امراة
من خثعم مها صبى به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
ان تسقيه ومسه به فبراء الغلام وغسل عقلا بفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضى الله
عنهما جات امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى
وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له ونفل فيه فبراء لحينه
وكانت فى كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها النبى
صلى الله عليه وسلم فما زال يلحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل
فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذى فيك فناولها ما فى
فيه ولم يكن سئل شيا فمنعه فلما استقر فى جوفها التى عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة
اشد حياء منها فصل فى اجابة دعايه وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبى صلى
الله عليه وسلم كما عة. بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء فى حديث
حذيفة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده
وولد ولده حدثنا ابو محمد المتابى بقرائتى عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسى حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا
عبد الله بن ابى الاسود حدثنا حرمى حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضى الله عنه قال
قالت امى يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما
اتيته وفى رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون
اليوم على نحو الماية وفى رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدى
هامتين ماية من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاه لعبد الرحمن بن عوف رضى الله
عنه بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه
ومات فخلف الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الايدى واخذت كل زوجة ثمانين الفا
وكن اربعا وقيل ماية الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين
الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الماشية فى حياته وعوافر العظيمة اعتق يوما ثلثين
عبدا وتصدق هو مرة بعير ينها سبع ماية بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها باحلاسها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعوية رضى الله عنه بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة ولسعد
ابن ابى وقاص رضى الله عنه ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعبد الاسلا

بكر رضى الله عنه او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضى الله عنه ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر رضى الله عنه واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء
فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة لا يمضي الله فاك فاسقط له سن وفي رواية فكانت
احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبت له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل
لاكثر من هذا ودعا لابن عباس رضى الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فاشترى
شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن
ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري
في حديثه في تاريخه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وقال لابي قتادة رضى الله عنه فلم
وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمسة عشر سنة
وروى مثل هذا الغرة ايضا ونتجت له ناقة فدعا لها عصار ريح حتى ردها عليه
ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا للعلى رضى الله عنه ان يكفيه الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الله
ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور ض
له بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاصابتهم سنة حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا
على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة
في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فما قعد وقال لامراة اكلك
الاسد فاكلها وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه ه
المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في دعايه على قريش حين وضعوا السلا على صوايه حين
رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن
ابي العاص وكان تختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه فقال له ذلك كن فلم
يزل تختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبيع فلفظته الارض ثم وري فلفظته ح
الارض مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الضد جانب الوادي ومحدره رجل بيع الضد جانب الواد
فرس وهي التي شهد لها خزيمة رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصبة برجلها اي
رافعة وهذا الباب اكثر من ان تحاط به فصل في كرامته وبين كاته وانقلاب الاعيان له
فيما باشره ولمسه اخبرنا احمد بن محمد قال حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي
سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا
ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضى الله عنه ان اهل المدينة فزعوا مرة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يطفأ به او به قطاف وقال غير
يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى وخمس جمل جابر رضى الله عنه وكان
قد اعيا فتسلط حتى كان لا يملك زمامه وضع مثل ذلك بزمام جميل الاشجعي خفقها فخفقها معه
وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وياع من بطنها باثنى عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن
عبادة فرده هملاجا لا يسابر وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد
رضى الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا ارتزق النصر وفي الصحيح عن اسما بنت ابي بكر رضى الله عنهما
انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى
نستشفي بها حدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن الماموني قال كانت عندنا قصعة من
قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جحجاة الغفاري
القضيب من يد عثمان رضى الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخرنته فيها الاكلة فقطعها

ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوءه فى بير قبا فما تركت بعد وبرق فى بير كانت فى دار
انس رضى الله عنه فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان
وماوه ملح فقال بل هو نعمان وماوه طيب فطاب واتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه
اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام
ملك عكة تقترى فيها النبى صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبى صلى الله عليه وسلم ان لا
تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هى مملوة سمنا فيأتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شئ
فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمهاحتى عصرتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتفل فى افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما مسه وغرز
لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاث مايه ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين
اوقية من ذهب فقام عليه الصلاة والسلام وغرسها بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا
تلك الواحدة فقلعها النبى صلى الله عليه وسلم ورددها فاخذت وفى كتاب البزار فاطعم
النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعدان ادارها على لسانه فوزن منها المواليه اربعين اوقية
وبقى عنده مثل ما اعطاهم وفى حديث حنش بن عقيل سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شربت اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبهها اذا جعت وريها اذا
عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشا فى ليلة مظلمة مطيرة
عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرجه فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج وفيها دفعه لعكاشه رضى الله عنه جزل حطب وقال اضرب
به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل
به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد فى قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع فى يده سيفا
ومنه بركته صلى الله عليه وسلم فى ذود الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد
واعنز معوية بن ثور وشاة انس رضى عنه وغنم حليمه مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد رضى الله عنه ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعدان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب
وزبده فى نمرة من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن
ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومحمود
وكان بوجد لهشيم بن فرقد طيب يغلب طيب نسايه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجرامى ودعا له فهلك ابن ماية
سنة وراسه ابيض وموضع كف النبى صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود
فكان يد على الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى ومسح وجه اخر فما زال
على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر فى وجهه كالمرآة
ينظر فى المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظله يوتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبى صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح فى وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان فى وجه امراة
من الجمال مابها ومسح على راس صبى به عاهة فبرى واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان
الرضى والجائعين فبروا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضح اباه من غير ما تغتسل
فبراء وعن طاوس لم يوت النبى صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك فى صدره الا
ذهب المس والجنون ومج فى دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها رائحة المسك واخذ قبضة من
تراب يوم حنين ورمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يسحون القذا
عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة رضى الله عنه النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه

ثم امر

ثم اسره بضمه فعمل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب في صدر جرير بن عبد الله
رضي الله عنه ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طول
وتمامًا فصل ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب كثر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه الجزء من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري
حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللولوي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير
عن الاعمش عن ابي وايل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامًا
فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب
عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصاعدًا
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طايرٌ جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والايمة ما اعلم به اصحابه
صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدايهم وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام
والعراق وظهورهم الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستفتح
وتفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويولون من
زهرتها وتسلمهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط
ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويستترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومين وانهم اذا سئلوا السلطان
خذلتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر بعده وذكر
ان الروم ذات القرون الى اخر الدهر وبذهاب الاسفل فالاسفل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى خرطنجنة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم
ولم يمتد الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسبق بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب
الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر منه واية ابي امامة
لا يزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول
الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية
مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما
ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من
هذه اي لحيته من راسه وانه تسع النار يدخل اولياوه الجنة واعداوه النار فكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وطايفة ممن تنسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ
المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصًا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ومحاربة الزبير لعلي
رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو
بعد ما كادت فنبحت على عايشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة
الباغية فقتله اصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويل للناس منك وويل
لك من الناس وقيل في قرهمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال

في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخرهم موتا في النار وكان بعضهم يسأل عن بعض
فكان سمرة رضي الله عنه اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال الخلافة
في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير
فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة رضي الله عنها اول اهله لحوقا
به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال
ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن
وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا
اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله وعلى رسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم
العجم يأكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بمصاة رجل رقطاء
وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي
بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضي الله عنه رأيته
لو شئت سميتهم لكم بني فلان وبني فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه
الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم
جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان
سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والمرأة الحفاة يتبارون في البنيان
وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالوتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على
الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضي الله عنه فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت
انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله والذي
غل الشملة وحيث بكى ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة خطامها وبشان كتاب حاطب الى
اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا
لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه
العباس رضي الله عنه عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه
سيقتل الى بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما
قال وقال في الحسن رضي الله عنه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيتين ولسعد
رضي الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل موته
يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ
ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر اباذان
رضي الله عنه بنظيره كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن
المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج
بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في يزيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده
في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل على
وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست
سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر رضي الله عنه البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض
تخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة
من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
رضي الله عنه في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما تحمده يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر

* يوم

يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم
وقال لخالد رضي الله عنه حين وجه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور
كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه الصلاة والسلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان
كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من تخبره لاخبرته حجارة البطحاء
واعلامه بصفة السحر الذي سحره لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع
نخلة ذكر وانه التوى ببئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلام قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت
فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر
الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد ما ظهرت
مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية وبين اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا
يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها
في الصحيح وعند الائمة **فصل في عصمة الله تعالى له** من الناس وكفايته من اذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
اليس الله بكاف عبده قيل بكافي محمدا صلى الله عليه وسلم اعداء المشركين وقيل غير هذا
وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية اخبرنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا
ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السبحي حدثنا ابو العباس
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد الله بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا
الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله عنها قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم تحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد
عصمني الله عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له
اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت
يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد
رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه ان النبي صلى الله عليه
وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية
انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث
وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغزوه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت
تقول وقد امكنك فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان
يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر الا وهو قايم على راسه مشتملا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شيت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وقع
الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكروا انه فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم تخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي جمة على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطرها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق
عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من
حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم
ابن ابي العاص نواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا راينا ه سمعنا صوتا خلفنا
ماظننا انه بقي بتهامة احد فوقفنا منفسيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله
ثم نواعدنا ليلة اخرى فجينا حتى اذا راينا ه جات الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن
عمر رضي الله عنه نواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجينا
منزله نتسمعناله فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فعل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد
عمرو قال اخ وفر اهاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه وسنه العبرة المشهورة
والحكاية التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته
عن رويتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن المنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية
ابن خلف حين قالوا له ندخل الغار ما ارى بكم فيه وعليه من نسج المنكبوت ما ارى انه قبل ان
يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك
الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه ولمن ابى بكر
الجعايل فانتدب له فركب فرسه وكابعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فساخت قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى
سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يلتفت وقال للنبي
صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها
فزجرها فنهضت ولقوايها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم اما نا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر رضي الله عنه واخبرهم بالاخبار وامر النبي صلى
الله عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل بل قال
لهما ارأكما دعوتما علي فادعوا الى فنجا ووفى نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر
اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد سكة ضرب على قلبه فما يدري ما
يصنع وانسى ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل رجع القهقري
الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لين راه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض له دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان
ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلم لو دنا لاخذه وذكر السراقة بن
ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله تعالى على بصره فلم ير النبي صلى الله
عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يراهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى
بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح
عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النظير يستعين في عقل الكلابي الذين قتل عمرو بن امية فقال لحيي بن اخطب
اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي
الله عنهم وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجة
حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد
قريشا ان راى محمدا يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب
منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسيل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوا نارا
كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض فقال عليه الصلاة والسلام
تلك الملايكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسا

ليطفى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبى ادركه يوم حنين وكان حمزة رضى الله عنه
قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثارى من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليضربه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ من نار اسرع من البرق فولیت هاربا واحس
الى النبى صلى الله عليه وسلم فدعانى فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى فما رفعها الا وهو
احب الخلق الى وقال لى ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفى واقيه بنفسى ولو لقيت ابى لتلك
الساعة لاوقعت به دونه وعن فضاله بن عمر واردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضاله قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لاشئ
فضحك واستغفر لى ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيأ احب
الى منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه
وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيأ فلما كلمه فى ذلك
قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا
من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم ببسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله
تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه افضل الصلاة والسلم

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من
الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح امته وما كان فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من
لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعى سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف رايهم والمعرفة بمردهم واعمارهم وحكم حكمايهم ومحاجة كل امة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما فى كتبهم واعلامهم باسرارها وتحبات علومها واخبارهم
بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعانى اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة
بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب المتفهم الغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد
الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب
وكل شئ مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحة ذو عقل سليم شيأ الا سن جمة الخذلان بل كل جاحد له
وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه
ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبايث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات
والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبادة والفرايض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلا على حدة
وكان فى صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولا فى علمهم كقوله عليه الصلاة والسلم الرويا الاول عابر وهى
على رجل طاير وقوله الرويا ثلاث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه ورويا تحزين من
الشيطان وقوله اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب وقوله اصل كل داء البرده وما روى
عنه فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه من قوله المعده حوض البدن والعروق اليها واردة وان
كان هذا حديثا لا يصح لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطنى وقوله خيرما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشى وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفى العود الهندى سبعة اشفيه وقوله ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان
لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سيل عن سباء ارجل هو ام امراة
او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
فى نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك
وقوله حمير راس العرب ونابها ومنبع هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض وقوله فى الحوض واياه
سوا وقوله فى حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مايتان وخمسون على اللسان والف وخمسمايتة فى الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعينيه او الافترع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملى هذا مع انه صلى الله عليه وسلم

كان لا يكتب ولكنه اوتى علم كل شى حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمدّوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق بن عباس رضى
الله عنهما وقوله فى الحديث الاخر الذى يروى عن معوية رضى الله عنه انه كان يكتب بين
يديه عليه الصلاة والسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة
والسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه الصلاة
والسلام بلغات العرب وحفظه معانى اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه الكثير من لغات الامم كقوله فى الحديث سنة سنة وهى حسنة بالحبشية
وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه اشكف ردم اى
وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس
الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب
ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراءة لشى من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشى منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
الاية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبارا وايلها والشعر والبيان وانما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن بمعزل
من خبر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى احد المحدثين لشى مما ذكرناه ولا وجد الكمزة حيلة فى
دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذى
يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه
اما سلمان او العبد الرومى وسلمان انما عرف بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا
يتعدر من الايات واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى
اسمه وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم تجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم
الفصحاء اللد والخطباء الالسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم فصه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمى الكن نعم وقد كان سلمان رضى الله عنه او بلعام الرومى او يعيش
او جبر او يسار على اختلافهم فى اسمه بين اظهرهم ويكلمونهم مدة اعمارهم فهل حكى عن واحد
منهم شى من مثل ما كان يجى به محمد صلى الله عليه وسلم وكيف وهل عرف واحد منهم معرفة شى من
ذلك وما منع العدو حينيذ على كثرة عدده وذوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ
عنه ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه كفعل النضر بن الحرث بما كان يتحرف به من
اخبار كتبه ولاعاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه ولما كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه اسمد نهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى فى صغره ويشبابه على عادة ابنائهم لم يخرج
عن بلادهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة تحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان فى سفره فى صحبته قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيا ما اتى
فى عجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر فصل ومن خصائصه عليه
افضل السلام والسلام وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملايكة والجن واسراء الله له بالملا
وطاعة الجن له ورويه كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل الاية وقال اذ يوحى ربك الى الملايكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون الاية حدثنا سفين بن العاص الفقيه بسماعى عليه حدثنا ابو المثنى السمرقندى
حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا
عبيد الله بن معاذ حدثنا ابى حدثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن
عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل عليه السلام فى صورته له ستمائة
جناح والخبر فى محاد نتمع جبريل واسرافيل وميكايل وغيرهم من الملايكة عليهم السلام
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء شهور وقد راهم حضرته جماعة

من اصحابه في مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه الصلاة والسلم في صورة رجل يساله
عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس رضي الله عنهما واسامة رضي الله عنه وغيرهما
عند جبريل عليه السلم في صورة دحية وراى سعدٌ على يمينه وسياره جبريل وميكايل
عليهما السلام في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملايكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الروس من الكفار لا يرون الضارب
وراى ابو سفين بن الحرث رضي الله عنه يوميذ رجالا بيضًا على خيل بلق بين السماء والارض
ما يقوم لها شيء وقد كانت الملايكة تصافح عمران بن الحصين رضي الله عنه واراى النبي صلى
الله عليه وسلم حزة جبريل عليه السلم في الكعبة فحزمشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير رضي
الله عنه لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نعمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيثم بن لاقس بن
ابليس فذكر انه لقي نوحًا عليه السلم وعمره في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورًا
من القران وذكر الواقدي قتل خالد رضي الله عنه عند هدم العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها
عريانة فجز لها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه الصلاة والسلم
ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا
ينبغي لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسيًا وهذا باب واسع فصل ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته
ما تراادفت به الاخبار عن العرهان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه
وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر
تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوى وسفين بن مجاشع وقيس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي
يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثمان الحويرث وعلما
يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما التقى من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمع
العلما وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين وتخيريق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحير او بصطور الحبشة وصاحب بصرى وضماطر
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومه عالم النصارى ورئيسهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن
باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار عن هذا
كثيرة لا تنحصر وقد فرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليتم المستقصي
ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجد واختلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونيذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى
ما انذر به الكهان مثل شاقر بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران
وجذل بن حذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومما
يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن ذباح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له
بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم مما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك
معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره
من الحجاب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي
خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور

حتى ما تنظر

عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه الصلاة
والسلام على يديها واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاءت لى ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمه وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجايب ليلة
مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض خميرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها اعلام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابى طالب وآله وهو صغير شبعوا وروا
واذا غاب فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا وكان سايرولد ابى طالب يصبحون شعثا ويصبح
صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه الصلاة
والسلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغضه الاصنام والهفه عن
امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند بناء
الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال
الله له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة رضى الله عنها ونساها رايته لما قدم و
ملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد
روى ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة وسن
ذلك انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وابيضت
هى فاشرفت وتدلت عليه اغصانها بخضر من راه وميل فى الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى
اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته
ودنو اجله وان قبره فى المدينة وفى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض
الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة
الملايكة على جسده على ما رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه السلم عليه ولم يستاذن
على غيره قبله ونداءهم الذى سمعوه لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روى من تعزيته
الخضر والملايكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته فى حياته وموته
كاستسقاء عمر رضى الله عنه بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
فى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا
من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وحسب
هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على جملات عدة ومعجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم اظهر من سايرمعجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يوت نبى معجزة الا
وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء عليهم السلم تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها
كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين سورة انا
اعطيناك الكوثر او اية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد
اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله
تحدى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
واذا كان هذا فى القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فمعجز القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم من وجهين طريق
بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا
الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه

المعجزة

التجزيه الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجزة فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه
الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا فى حق القرآن فلا يكاد ياخذ العدد معجزات الله
ولا يجوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلم
فى هذه الابواب تعادل على امره مما اشرنا الى جملة يسيرة منها فاما من هذا الوجه الثانى وضوح
معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدرهم اهل زمانهم وبحسب الفن الذى
سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلم غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى عليه
السلم بمعجزة تشبه ما يعرون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن فى قدرتهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلم اعنا ما كان الطب واوفر ما كان اهله
فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم تستبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص
بدون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم السلم ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فاتى
عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة الفصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم من النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لا يهتدى فى المنظوم الى طريقه ولا علموا فى
اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والخبيات والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل
الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم
وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانبا الانبياء عليهم السلم والامم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز فيها ثم
بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها فى معجزات القرآن ثابتة
الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتى لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور
مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان والمشاهدة زيادة
فى اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وسائر معجزات الرسل عليهم السلام انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه الصلاة
والسلام بقوله فيما اخبرنا القاضى الشهيد ابو على قال حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا ابو
ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا اخبرنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا عبد
العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى اكثرهم تابعا يوم القيامة وهذا معنى الحديث عند
بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء فى تاويل هذا
الحديث وظهور معجزة نبينا عليه الصلاة والسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها
باشياء اطمعوا فى التقييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما تخيل الساحر
او يتخيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم
اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل
والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضا وفى هذا التاويل الثانى ما يغض الجفن عليه ويضطر
وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الاتيان بما فى مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء
والجلاء والسبى والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم

منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق بين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدورهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من اعجازه واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك برقة اذهان العرب وذكائها بها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازداد واكمل يوم ايمانا وفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباهم وابناءهم في نصرته والى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويجب منه زيغ لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه صلى الله عليه وسلم وكرم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ونجمعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره عليه افضل الصلاة والسلام

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم اذ تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديقه بنبوته ورسالته وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك اللسان تم الايمان به والتصديق كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ومن زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلم اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان

فقال

هذا نصف الكتاب

فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق بذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم وحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار وبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم تجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل فى حديث جبريل عليه السلم الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما ان يصدق بقلبه ثم يحترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس مؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الابها وهذا هو الصحيح وهذا نبذة يفضى الى متسع من الكلام فى الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان وهل الجزى ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسيط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى

فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به صلى الله عليه وسلم وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول فى التزام سننه والتسليم لما جاء به وقالوا وبما ارسل الله من رسول الا ليفرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا ومن يطع الرسول فى سننه يطع الله فى فرايضه وسيل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندى يقال اطيعوا الله فى فرايضه والرسول فى سننه وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبى صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخارى حدثنا عبد الله اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهرى اخبرنى ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصى اميرى فقد عصانى فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى اذ الله سبحانه امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم

يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته يوم لا ينفعهم
التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما
استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام كل امتي يدخلون الجنة
الا من ابى قالوا ومن يا بى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قومًا فقال يا قوم اني رايت الجيش
بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا
وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني
واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارًا
وجعل فيها مادبة وبعث داعيًا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدًا صلى الله عليه وسلم
فقد اطاع الله تعالى ومن عصا محمدًا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم
فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه واستنانه والاقتداء بهديه فقد قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا اي ينقادون لحكمك يقال سلم
واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر
الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به والاتباع لسنته
وترك المخالفة في قول او فعل وقال غيره امر بالصبر بهناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال
سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال متابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم
الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على
اهوائهم وما تجح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروي عن الحسن ان اقوامًا قالوا يا رسول الله انا نحب ربنا فانزل الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبًا لله فانزل الله تعالى الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم
تحبون الله اي تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله تعالى والرسول صلى الله عليه
وسلم طاعتهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب
من الله تعالى عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه	هذا العري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لاطعته	ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له رحمته له وارادته
الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة
والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة الله العبد غير هذا
بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن
سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد حدثنا
ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود
ابن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن
عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه في حديثه في موعظة
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا
عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وزاد في
حديث جابر رضي الله عنه بهناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه
وسلم لا الفين احدكم متكئًا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى

الله

الله صلى الله عليه وسلم شيئا يرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم
له خشية وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي
خسر الدنيا والاخرة وانبرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي
بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وقال صلى الله عليه
وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد
صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في خير من
عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر
مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان
امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومنهم يا رسول الله قال الذي انا
عليه اليوم واصحابي وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من احيا سنتي فقد احبني
ومن احبني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من
غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل
اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة
من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى
ابن عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد
ابن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى
ابن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم
شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله
وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدا
بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى
واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن رحمه الله تعالى عمل قليل في سنة
خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعلم السنة والفرايض واللحن والتي في اللغة
وقال ان ناسا تجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب
الله تعالى وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان رضي الله عنه ترى
اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد
من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ما استطعت وقال ابن مسعود يقول المقتصد في السنة خير من المجتهد في
البدعة وقال ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
ابي بن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعرت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله تعالى الا كان مثله كمثل شجرة

قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابها تراب شديد فتحات عنها ورقها الاحط الله عنه خطاياه كما تتحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء عليهم السلام وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر رضي الله عنه بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطا في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رضي الله عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدير ناقته في مكان فسيل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الجنيدي من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري رحمه الله عليه اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الافعال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستملت الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله تعالى قد غفر لك بما استملت السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل عليه السلام

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا سحنون ابن سعيد حدثنا ابن القسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا سحقا وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجئ بكتاب في كنف كئي بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال ابو بكر رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقها صلى الله عليه وسلم اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ

بهما اجازته وهو مما قرأته على غير واحد قال وحدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو
محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب
ابن ابرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين
وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من
كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر رضي الله عنه والذي انزل
عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا
عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل في ثواب محبته** حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن
مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا
صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول
الله احبك قال المرء مع من احب وروي بهذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس رضي الله عنهم وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين وابا هما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيامة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا ارالك فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث اخر
كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال يا بي وامي
امتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وفي
حديث انس رضي الله عنه من احبني كان معي في الجنة **فصل** في ما روي عن السلف
والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد قال
حدثنا الهذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن سهل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله
وماله ومثله عن ابي ذر رضي الله عنه وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم
يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي فقبضني اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي
الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني
من اسلامه يعني اباه الخطاب وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك
وخوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس رضي الله عنهما ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب

لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل
ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارينه حتى انظر اليه فلما راته
قالت كل مصيبة بعدك جلل وسيل على بن ابى طالب رضى الله عنه كيف كان حبكم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر رضى الله عنه ليلة يحرس فرأى
مصباحا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار ... صلى عليه الطيبون الاخيار ... قد كنت قواما بكا بالاسحار
ياليت شعرى والمنايا اطوار ... هل تجمعنى وحبيبى الدار ... يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر رضى الله عنه يبكى وفى الحكاية طول وروى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
خرجت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزول عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال رضى الله عنه نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة
محمدا وحزبه ويروى ان امراة قالت لعايشة رضى الله عنها اكشفى لى قبر النبى صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفين بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك
نضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا صلى الله عليه وسلم الآن فى
مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى اهلى فقال ابو سفين ما رايت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
كانت المراة اذا اتت النبى صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بارض عن ارض وما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا
حبا الله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير رضى الله عنهم بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فصل فى
علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيأ اثره واثر موافقته والا لم يكن
صادقا فى حبه وكان مدعيا فالصادق فى حب النبى صلى الله عليه وسلم من ظهر علامات ذلك
عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب
نواهيه والتاديب بادابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قول الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية جعل اتباع شرعه وحض عليه على هوى نفسه
وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واسخط العباد فى رضى الله حدثنا القاضى ابو على الحافظ قال حدثنا ابو الحسين الصيرفى
وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد
ابن محبوب حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم
حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن ابى زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال انس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت
ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لى يا بنى وذلك من سنتى ومن احيا
سنتى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله
ورسوله ومن اخل بها فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا تخرج عن اسمها ودليله
قوله صلى الله عليه وسلم للذى حده فى الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبى صلى الله عليه
وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيأ اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقايه فكل
حبيب يحب لقا حبيبه وفى حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يخرجون
غدا تلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال رضى الله عنه ومثله قال عمار رضى الله
عنه قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له

وقوله

وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله هيبا وتوقيرا ومنها
محبة لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين
والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحب وقد
قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من
يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني
فقد ابغض الله تعالى وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله يوشك ان
ياخذه وقال في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في
اسامة بن زيد رضي الله عنهم احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق
بغضهم وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس
وقد قال انس رضي الله عنه حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة
فما زلت احب الدباء من حينيذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله
عنهم اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ابن عمر رضي الله عنهما يلبس النعال السبتيه ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته واتباع في دينه واستثقال كل من خالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما
يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي
لو شيت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان تحب القران الذي اتى به صلى الله عليه وسلم وهدا
به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته
والعمل به وتفهمه وتحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله رحمة الله تعالى
عليه علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب
الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا
وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسال احد عن نفسه الا القران
فان كان تحب القران فهو تحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما
كان صلى الله عليه وسلم بالمومنين رووفا رحيما ومن علامات تمام محبته زهد من زهد فيها في الدنيا
وايثاره الفقر وانصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني لاحبك
فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا
ثم ذكر حديث ابي سعيد رضي الله عنه بمعناه **فصل في معنى المحبة للنبي**
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه
وسلم وكثرة عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها
اختلاف احوال فقال سفين رحمه الله تعالى المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وقال بعضهم
محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال
بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق
الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال

اخر المحبة ميل القلب الى الموافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته له لاستلذاذه
بادراكه لحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له اولاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معانى باطنه شريفه كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير
الجميله والافعال الحسنه فان طبع الانسان ماىل الى الشغف باشال هولاء حتى يبلغ
التعصب بقوم المتشيع من امة فى اخرين مايودى الى الجلاء عن الاوطان بهتك
الحرم واختزام النفوس اويكون حبه اياه لموافقته له مزجهة احسانه له وانعامه عليه
فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها
فى حقه صلى الله عليه وسلم ففلت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة
الموجبه للمحبه اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من
الكتاب ما لا تحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه فى اوصاف الله
تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمومنين روف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين واى افضال اعم منفعة واكثر
فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهدايه ومنقذهم من العمايه وداعيهم
الى الفلاح والكرامه ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب
لهم للبقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبه
الحقيقية شرعا كما قدمناه من صحيح الاثار وعاده وجبله. ما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان
وعموم الاجمال فاذا كان الانسان تحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين معروفا واستنقذه من
هلكة او مضرة مرة التاذى بها قليل منقطع بمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان تحب بالطبع ملك حسن سيرته او حاكم لما يوثر من
قوام طريقته او قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال على رضى الله عنه فى صفته صلى الله
عليه وسلم من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه لمحبة فيه صلى الله عليه وسلم فصل فى وجوب مناصحته
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله
ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتى
عليه قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المومن حدثنا
ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابى صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحه ان الدين النصيحه ان الدين النصيحه قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستى النصيح
كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها فى اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال
ابو بكر بن اسحق الخفاف النصح فعل الشى الذى به الصلاح والملايمة ماخوذ من الناصح
وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج حقوه فنصيحة لله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانيه ووصفه بما هو اله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة فى محابه والتمسك
من مساخطه والاخلاص فى عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الملحدين
وطعن المبطلين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما

امره

امره ونهى عنه قال ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته
بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمه واداب الجميله وقال ابو ابراهيم اسحق
البجلى نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسول الله صلى الله عليه وسلم واليها والى العمل بها وقال
احمد بن محمد بن مفرج نصيحات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجرى
وغيره النصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر
والمحاماه عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآيه وقال وينصرون الله ورسوله الآيه واما نصيحة المسلمين لبعد
وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشرة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه فى شريعته
ولحبته الى بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته والحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره واداب والصبر على ذلك فعلى ما ذكره
تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيرى
رحمه الله تعالى ان عمرو بن الليث احد ملوك خرسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار راى فى النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا قال صمدت زروة جبل يوما فاشرفت على جنودى
فاعجبنى كثرتهم فتمنيت الى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله تعالى
لى ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم فى الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم
اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضرب
وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم فى امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار
عنهم وجلب المنافع اليهم الباب الثالث فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ويسبحوه بكرة واصيلا وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدى الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الثلاث الايات
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضى الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
فى تعظيمه وقال الاخفش تنصروه وقال الطبرى يمينونه وقرئ تعزروه بزايين من العز
ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو
اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاسمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضايه فيه وان يفتاتوا بشى فى ذلك من قبل
اوغيره من امر دينهم الا باسره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن وجاهد والضحاك
والسدى والثورى ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال
الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته انه
سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضكم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكى اى لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف
ما يجب ان ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الآيه الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآيه فى وفد بنى تميم وقيل
فى غير الذى النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآيه الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما
بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت فى
ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبى صلى الله عليه وسلم فى مفاخرة بنى تميم وكان فى اذنه صمم
فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآيه اقام فى منزله وخشى ان يكون حبط عمله ثم اتى النبى صلى

الناس

الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت فما ذاك ان جهر بالقول وانا امرء
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا
وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال
والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه
كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله
تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني
تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن
رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة
كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها
ارعنا سمعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان
يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي
ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا
احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن
مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد اخبرنا حيوة بن
شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن سماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سيلت ان اصفه ما
اطقت ان اصفه لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان تخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر
وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران اليه
وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك رضي الله عنه اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفية اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا
وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا
امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش
قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما
رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما
يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان يقع شعرة الا في يد رجل
ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى
الله عليه وسلم اليهم في القضية الى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي حديث طلحة رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد
لا عرابي جاهل سأله عن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأل الله عمر فاذ طلحة
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبته له وتعظيما وفي حديث
المغيرة رضي الله عنه كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال
البراء بن عازب رضي الله عنهما لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر

فاوخ

فاوخر سنين من هيبته صلى الله عليه وسلم فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حيوته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان تخضع وتخشع وتوقر وتسكن
متحركه وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله
تعالى به قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وايمتنا
الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشيري وابو القاسم احمد
بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجاز ونبيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال
حدثنا ابو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن
المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرايل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين
مالكا رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلم الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع
به فيشفعه الله سبحانه فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقال مالك وقد
سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وج حجتين فكنت
ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت
منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك رحمه الله تعالى اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون ولقد كنت ارى محمد
ابن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت
ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
وما رايته تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فكنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا يتكلم فيما
لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن ابي
القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد رجف لسانه في فمه
هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا
عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى عن قتادة انه كان اذا سمع
الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك رضي الله عنه الناس قيل له لو جعلت مستمليا
لسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا
وميتا سواه وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع
قوله صلى الله عليه وسلم فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون
حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن بشر حدثنا احمد بن سنان
القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت
الى ابن مسعود رضي الله عنه سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث

يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كربة حتى رايت العرق يخدر عن
جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله تعالى او فوق ذا او ما دون ذا او ما قرب من ذا وفي رواية فتربل
وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم
وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس رضي الله عنه لا تحدث حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب
ابن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضاء وتهيا وكان
ولبس ثيابه ثم تحدث قال مصعب فسيل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل فغسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا اولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان تحدث في الطريق او وهو قايم او مستعجل
وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند
مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنا الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
مهدي شهدت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتصرفني وقال لي كنت في عيني
اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا نمشي وساله جرير بن عبد
الحميد القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق بن ادب
وذكر ان هشام بن الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح
كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وقال قتادة يستحب ان لا يقرا حديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا تحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث
وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بآله وذريته وامهات
المومنين ازواجه كما حض عليه صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآيه وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ
ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبته من اصله حدثنا ابو الحسن المقري الفرغاني حدثتني ام
المسلم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل
حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد
ابن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا فقلنا لزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم
ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه
افضل الصلاة والسلم معرفة آل محمد براة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل
محمد صلى الله عليه وسلم امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه
وسلم واذا عرفتهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآيه وذلك في بيت ام سلمة رضي الله عنها دعا فاطمة

وحسنا وحسينا رضوان الله عنهم بكساء وعلي رضي الله عنه خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما نزلت اية المباهلة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء
اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس
رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى
عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اعذ علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم
بملاءة وقال هذا عمي وصنوابي وهؤلاء اهل بيتي فاستروهم من النار يستروكم ايا هم فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن رضي الله عنهم ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في اهل بيته وقال
ايضا رضي الله عنه والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي
وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن
وحسين وابا هما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه
الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا تؤذيني في عايشة
وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه يحمل الحسن على عنقه ويقول بابي شبيه
بالنبي ليس شبيه بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك وروى عن عبد الله بن حسين بن حسين قال اتيت
عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني
استحيي من الله تعالى ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة امه
ثم قربت له بغلته ليركبها فاخذ ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر رضي الله عنهما محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي
فقبل له هو محمد بن اسامة بن زيد فطفا طا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد رضي الله عنهما صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى
اجلسها على الجلسة وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لابنه عبد الله في ثلاثة الاف وخمس مائة ولاسامة بن زيد رضي الله عنه في ثلاثة الاف قال
عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي
وبلغ معوية ان كاتبا بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام
عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه لمرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه النساء
فافاق فقال اشهدكم اني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي
صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي رضي الله
عنهم لبدرات حاجة على قبلهما لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء
الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس مات فلانة لبعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولان ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزورها فلما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط
لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن
توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء

هل يجوز ان يقال ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

واسامة بن زيد في ثلثة الاف

عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل
ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا
يذكر احد منهم بسوء ولا يغض عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضايلهم وحميد سيرتهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد
رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الآيه وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآيه حدثنا القاضي ابو علي قال
حدثنا ابو الحسين وابو الفضل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السبي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي
حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينه عن زايده عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن
خراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله في شان
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا
اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب
اصحابي فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر رضي الله عنه ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي
وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن
انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين
جاءوا من بعدهم الآيه وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خصلتان من كانتا فيه كان مصدقا
وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر رضي الله عنه فقد
اقام الدين ومن احب عمر رضي الله عنه فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان رضي الله عنه فقد
استضاء بنور الله ومن احب عليا رضي الله عنه فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع خالف السنة
والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث
خالد بن سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض عن عمر وعن
علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فاعرفوا
لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي
واصهاري واختاني لا يطالبكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة عندا
وقال رجل للمعافى بن عمران ابن عمر بن عبد العزيز من معوية رضي الله عنه فغضب وقال
لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على
وحي الله عز وجل واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فابغضه الله قال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والاخرة ومن
لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني
في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني
في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الامن بعيد قال مالك رحمه الله تعالى هذا النبي صلى الله عليه
وسلم مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو
لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم فهم وموالاتهم ومعاداة من
عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة

امر الله تعالى

وطلب

وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري رحمه
الله تعالى لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعرف اوامره فصل
ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته مزهكه والمدينه
ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به وروى عن صفيه بنت جزء قالت
كان لانى لحزوره رضى الله عنه قصه فى مقدم راسه اذا اقعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد رضى الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
القلنسوة فى بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كثرة من
قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم فيالا اسلب
بركتها وتقع فى ايدى المشركين وروى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان
وكان يقول استحيى من الله سبحانه ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروى انه وهب للشافعى رضى الله عنهما كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعى امسك منها
دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى عن احمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاه الرماه انه قال ما مسست القوس بيدى الا على طهارة منذ بلغنى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال ان تربة المدينه
رديه انه يضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه
ترية دفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفى الصحيح انه قال صلى الله عليه
وسلم فى المدينه من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفارى اخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم
من يد عثمان رضى الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة فى ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا فليتبوا مقعده من النار
وحدثنا ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينه زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ...	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة ...	لمن بان عنه ان يلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لنا ظرى ...	فمن تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا ...	فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ...	فلها علينا حرمة وذمام

صلى الله عليه وسلم

وحكى عن بعض المشائخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك فقال العبد الابق ياتى الى بيت مولاه
راكبا لو قدرت ان امشى على راسى ما مشيت على قدمى قال القاضى رحمه الله تعالى
وحدير لمواطن عمرت بالوحى والتنزيل وتردد بها جبريل وميكاييل عليهما السلام وعرجت منها
الملائكة عليهم السلام والروح وضحت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسيد
سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس ايات
ومساجد وصلوات ومشاهد الفضايل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك
الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومشاهد خاتم النبيين حيث انجرت المنبوه
واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم
عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل رسومها وحدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ...	شهرى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة ...	وشوق مبرقد الجمرات
وعلى عهدك ان ملأت محاجرى ...	من تلكم الجدرات والعرصات
لا عفرت قصون شيبى بينها ...	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا الهوادى والاعادى زرتها ...	ابدا ولو سحبا على الوجنات

لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار و الحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالاصال و البكرات
وخصه بزوا كى الصلوات ... ونوامي التسليم و البركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآيه وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله تعالى يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته يدعون وقال المبرد اصل الصلاة الترحم فمن الله تعالى رحمة ومن الملائكه رقه واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملائكه عليهم السلام على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكه وصلاة الملائكه دعاء قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآيه على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كالملاذ واللاذة الثاني ان السلام على حفظك ورعايتك متولاه وكفيل به وتكون هنا السلام اسم الله عز وجل الثالث ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى تحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما **فصل** اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج وما لم يترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعاره اهله قال القاضي ابو الحسن ابن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك رحمه الله تعالى واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه قال اصحاب الشافعي رضي الله عنه الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسالة عليه مخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلوته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان رضي الله عنهما انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي رضي الله عنه فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب استحق الاعادة مع تعمد تركها

يداوم

دون

دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فريضة
قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة كقول الشافعى رضى الله عنه وقد خالف الخطابى من اصحاب
الشافعى وغير الشافعى فى هذه المساله قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلاة وهو قول جماعة
الفقهاء الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح
قبل الشافعى واجماعهم عليه وقد نسخ الناس على هذه المساله جدا وهذا تشهد ابن مسعود رضى الله عنه الذى
اختاره الشافعى وهو الذى علمه له النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك
كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى
وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
وقد قال ابن عباس وجابر رضى الله عنهم كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن
ونحوه عن ابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وقال ابن عمر
كان ابو بكر رضى الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا على المنبر
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى الحديث لاصلاة لمن لم يصل على قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم
يصل على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفى حديث الى جعفر عن ابن مسعود رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلا صلاة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه قال
الدارقطنى الصواب انه قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبى
صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم **فصل** فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة
والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك فى تشهد الصلاة كما قدمنا وذلك بعد
التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضى ابو على رحمه الله تعالى بقراءتى عليه قال حدثنا الامام ابو القسم
البلخى قال حدثنا الفارسى عن ابى القسم الخراعى عن الهيثم عن ابى عيسى الحافظ حدثنا محمود
ابن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا حيوة بن شريح حدثنى ابو هانى الخولانى ان عمرو بن
مالك الجنبى اخبره انه سمع فضالة بن عبيد رضى الله عنه يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
فى صلاته فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له
ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع
بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال
الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شىء حتى يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروى ان الدعا محجوب حتى
يصلى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضى الله عنه اذا اراد احدكم ان يسال الله سبحانه
وتعالى شيئا فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسال فانه
احرى ان ينجح وعن جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب فان
الراكب يملا قدحه ثم يضمه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه
ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطا للدعا اركان واجنحة واسباب
واوقات فان وافق اركانه قوى وان وافق اجنحته طار فى السماء وان وافق مواقيته فاز وان
وافق اسبابه الخ فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى
وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه
وسلم وفى الحديث الدعا بين الصلاتين على لا يرد وفى حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا
جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفى دعاء ابن عباس رضى الله عنهما الذى رواه عنه حشيش قال فى
اخره واستجب دعائى ثم يبدا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ان تصل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره
وسماع اسمه او كتابته وعند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
على وكره ابن حبيب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا
يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله تعالى محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله

وحكا ابو محمد عبد المالكى عن المذهب فى ذلك ثلثة اقوال الوجوب والسنة والندب

اسقم الى اسقامكم

ابن اوس

صلى الله على محمد لم يكن تسمية لله مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى المنساى عن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار عليه من الصلاة يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقال السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلوة على الجنايز وذكر عن ابي امامة رضي الله عنه انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واله في الرسايل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من تختم به ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم عن الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملايكة وبني ادم والجن قال مالك رحمه الله تعالى في الجمعة واجب للمامور اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية كعب بن عجرة رضي الله عنه اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عامر في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله عنه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التيمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا

حدثنا

حدثنا ابو عبد الله بن سمدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر
ابن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد المجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد
عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وحنن على محمد وعلى
محمد كما حننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال
بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه
يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرايف صلواتك
ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدراخ جيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الا اللهم فصل باعلى
اسنايه به صدعت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام و
منيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك باالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضائك مهنات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول اللهم اعل على بنا الناس بناه واكرم مثواه
لديك ونزله واتمم له نوره واجزه ايثمانك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل
وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملايكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملايكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ يارب العالمين على محمد بن عبد الله
خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك
باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
وآل ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى
من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم
الراحمين وعن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى وارفع درجته العليا واته سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى
وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعايه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط
محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسول له الى يوم القيامة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك
حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله

وآلهم

والسلم كما قد علمتم هو ما علمتم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين والمومنات مرغاب منهم
ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وجاء في هذا
الحديث عن علي رضي الله عنه الدعا للنبي بالغفران **فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى**
الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح مكتوبا قال حدثنا
القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا النسائي اخبرنا سويد نصر اخبرنا عبد الله
عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وروي انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله
عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلم نادى فقال من صلى
عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه عنه عليه الصلوة والسلم لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله تعالى يقول من سلم عليك
سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان
وعبد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم
صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود رضي
الله عنه اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
علي صلاة صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها
الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر
ذنبك وعن ابي طلحة رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل عليه السلم انفا فاتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى يعتني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
الا صلى الله وملايكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن
سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
غفر له وروي بن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق
رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخوان الحاكم
يوم القيامة من اهولها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله عنه صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم احق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق
الرقاب **فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه** حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن الصيرفي قالا حدثنا

ابو يعلى

ابو يعلى حدثنا السبيعي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقي حدثنا
ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلا
الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه
صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فسأله معاذ رضي الله
عنه عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليهما وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يغفر له فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم
يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطى طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على
النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن
من ريح الجيفة وعن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما
يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى
الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزاء عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل في تخصيصه صلى الله عليه
وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام** حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي قال
حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا عبد المؤمن حدثنا ابن داسه حدثنا
ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقبري نباحيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن
يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي
شيبه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابي مسعود ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ولخوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر رضي
الله عنهما اكثروا من السلام علي ليكم كل جمعة فانه يوتى به منكم في كل جمعة وفي روايه
فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه
وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس
احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى
على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي
حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن
سحيم رضي الله عنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هاولاء
الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يردان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء عليهم السلم وما من مسلم يصلي علي الا
حملها ملك حتى يوديها الي وبسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا **فصل في الاختلاف**

في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلم قال القاضي وفقه الله تعالى
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن عباس رضي الله
عنهما انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين
وقال سفين رحمه الله تعالى يكره ان يصلي الا على نبي صلى الله عليه وسلم ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب
مالك انه لا تجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه على
ازواجه وعلى آله قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما لينة والصلاة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان
اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته وفي اخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والربط والمشيع
وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس رضي
الله عنه سيل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ونحى على مذهب الحسن ان المراد
بآل محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر
الله به سوا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي
مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي رضي
الله عنه في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه
كان يصلي على المنبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطا من
رواية يحيى الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك رضي الله عنه كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل سهمك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفين
رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره غير واحد من الفقها والمتكلمين
انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شي يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا
كما خص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشارك فيه غيره لذلك تجب
تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلم بالصلوة والتسليم ولا
يشارك فيه سواهم كما امر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول
كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم
بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي
عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي
صلى الله عليه وسلم حكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه لجواها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد
قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك تجب ان تكون الدعاء له
مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني رحمه الله

فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم
ويدعو وزيارة قبره عليه الصلاة والسلم سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب
فيها روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له
شفاعتي وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في

المدينة

المدينة محتسبا كان فى جوارى وكنت له شفيعا يوم القيمة وفى حديث اخر من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقد اختلف فى معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زورات القبور وهذا يرده قوله نهيتم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبرى فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشئ اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عمومها وقد ورد فى حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ فى حقه والاولى عندى ان منعه وكراهة مالك رحمه الله لاضافته الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبى صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد بعدى اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فخشى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصر الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذى كان يستند اليه وينزل جبريل عليه السلم بالوحى فيه عليه ومن عمر وقصره من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابى فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبى ثم قال صلى الله عليك يا محمد من بقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم يسقط له حاجة وعن يزيد بن ابى سعيد المهرى قدمت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فلما ودعته قال لى ايك حاجة اذا اتيت المدينة ستترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاقره منى السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك رضى الله عنه اتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى قال ابن ابى سلمة من احب ان يقوم وجاه النبى صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على راسه قال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما يسلم على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى السلام على ابى بكر السلام على ابى ثم ينصرف وفى الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثى انه كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وعند ابن القاسم والعتبى ويدعو لابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما قال القاضى ابو الوليد الباجى وعندى انه يدعو للنبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما كما جاء فى حديث ابن عمر عن الخارف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلوة والسلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر كما ذكرنا وتسلم تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك فى غير الروضة اجزتاك وفى الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك وتسلم على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وتدعو لهما وكثر من الصلوة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتى مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك رضى الله عنه فى كتاب محمد ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعنى فى المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب

عن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية
اخرى فليسلم سكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني
من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية رحمة الله وسمى
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك
وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر
ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما
فقيل له فان ناسا من اهل المدينة يقدمون من سفر ولا يريدون ان يفعلون ذلك في اليوم مرة
او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح
آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الاتي من جاء من سفر او اراده قال ابن القسم ورايت اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال ذلك رايي قال الباجي ففرق بين
اهل المدينة والغرباء لان الغرباء يقصدون لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد
ابن سعيد الهمداني فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي المبتدئ
يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي
صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه
للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره
وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن
المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين
ابن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسه
حدثنا ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمه الله تعالى سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فرعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت
قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يقيم المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه
عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد

مسلمة ويكره فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما تخلط عليهم صلاتهم وليس مما تخصه به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى وقال ابو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى اختلف الناس فى معنى الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة بين مكه والمدينه فذهب مالك رحمه الله فى روايه اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فى سايرالمساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مايه صلوة فيما سواه فاثبت فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع مايه وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينه على مكه على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكه وهو قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكى الساجى عن الشافعى رحمه الله تعالى وحملوا الاستثنا فى الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة رضى الله عنه وفيه وصلوه فى المسجد الحرام افضل من الصلاه فى مسجدى هذا بمايه صلاه وروى قتادة مثله فيما فى فضل الصلاه فى المسجد الحرام على هذا فى سايرالمساجد بمايه الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض قال القاضى ابو الوليد الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكه لسايرالمساجد ولا يسلم منه حكمها مع المدينه وذهب الطحاوى الى ان هذا التفضيل انما هو فى صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك فى النافله ايضا قال وجمعه خير من جمعه ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينه وغيرها حديثا حكوه وقال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومثله عن ابى هريرة وابى سعيد وزاد ومنبرى على حوضى وفى حديث اخر منبرى على ترعه من ترع الجنه قال الطبرى فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روى ما بين بيتى بين حجرتى ومنبرى والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى بين قبرى ومنبرى قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره فى حجرته وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لما لازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعا والصلوه فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى وروى ابن عمر رضى الله عنهما وجماعة الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المدينه لا يصبر على لاوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال نعمين تحمل عن المدينه والمدينه خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينه كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينه رغبة عنها الا ابدل الله خيرا منه وروى عنه عليه الصلاة والسلام من مات فى احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق اخر بعث من الامنين يوم القيامة وعن ابن عمر رضى الله عنهما من استطاع ان يموت بالمدينه فليمت بها فانى اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا او جا اليه فى الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكى ان قوما اتوا سمدونا الحولانى بالمستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار حلول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن فقال ابيح ثلاث حج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثالثة حج حرم الله شعره وبشره على النار

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك مرحبا ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يمر على الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر يحشر يوم القيامة من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله تعالى حدثنا ابو العباس
العذري قال حدثنا ابو اسامه محمد بن احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا
الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين
ابن عيينه قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت بن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعى احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفين وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من سفين الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامه وما اذكر ابو
الحسن بن رشيق قال فيه شيا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق
الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من اسامه الا استجيب لي وقال ابو علي وانا فقد
دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي في
بقيتها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه الفكت في هذا الفصل وان
لم تكن في الباب لتحلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفايدة والله الموفق للصواب

برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افاين مات او قتل الآية وقال لما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فجميع صلى الله عليه وسلم وسايير
الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما طاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم مخاطبتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورويته اذ كان على صورته وقال قل لو كان في الارض
ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا والرسل والانبيا
والرسل عليهم السلام وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارى عليه ما يطرى على البشر من الاعراض والاسقام والموت
والفناء ونعوت الانسانيه وارواحهم وبواطنهم متصفة بما علا من اوصاف البشر متعلقة بالملاء
الاعلى متشبهة بصفات الملايكه سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف
الانسان اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملايكه ورويتهم
ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت
الملايكه وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليهم مخالطتهم كما تقدم من قول الله
تعالى فجعلوا من رجمة الاجسام والظواهر مع البشر ومن رجمات الارواح والبواطن مع الملايكه
كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني
ربي ويسقين فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن النقايص والاعتلالات وبهذه جمله

لن يكتفي

لن يكتفى بضمنها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتى بعد هذا فى الابابين
بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينيه والكلام
فى عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه اعلم ان الطوارى من التغييرات والافات على احاد البشر لا تخلو ان يطرا على جسمه
او على حواسه بغير قصد كالامراض والاسقام او بقصد واختيار وكله فى الحقيقه عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عمد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح
وجميع البشر يطرى عليهم الافات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها
والنبى صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر فيجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما ياتى به من التفاصيل
فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى اليه
فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك او الشك او الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين الواضحه ان يكون فى عقود الانبيا صلوات الله عليهم سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بلى ولكن ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابراهيم عليه السلم
فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء
فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته الوجه الثانى
ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسوال
ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اى تصدق بمنزلتك منى وخلتك واصطفايك الوجه
الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينه وان لم يكن فى الاول شك اذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل فى قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع وجوز فى النظريات فاراد
الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقى من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينه
ولهذا قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى سال كشف غطا العيان وليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيى ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه
عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سوال عن طريق الادب المراد اقدرنى على احياء الموتى
وقوله ليطمئن قلبى عن هذه الامنيه الوجه السادس انه اراد ان نفسه الشك وما تشك لكن
ليجاوب فيزداد قربه وقوله نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم نفى لان
يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم عليه السلم اى نحن موقنون
بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد
امته الذين تجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصه ابراهيم عليه
السلم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك الايتان فاحذر ثبت الله قلبك ان تخطر ببالك ما ذكر
فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضى الله عنهما او غيره من اثبات شك للنبى صلى الله عليه
وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس رضى الله
عنهما لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسل وكذا عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا فى معنى الايه
فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الاية قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هذا
التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الايه وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبى صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الايه الخطاب له والمراد غيره
ومثله فلا تكن فى مرية مما يعبد هولاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الاتراه
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا باياتِ الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما
يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل

هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور بها هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي
عليه الصلوة والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤل لا المستخبر السايل وقال
ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما
قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى
واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه
وسلم قاله المتنبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الحافظ وتم الكلام ثم ابتداء
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء عليهم السلام ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا
من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم
من ارسلنا اهل جاورهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا
على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول
الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكرنا في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم
اي قل لمن امترى في ذلك يا محمد لا تكونن من الممترين به ليدل قوله في اول الآية افقير الله ابتغي
حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقولة انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة
وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن
صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما
انزلناه فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما
معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا
اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على المستاع والامم لا على الانبياء والرسل عليهم
السلم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وهذا المعنى قراءة
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشتغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله عليه الصلوة والسلام لخديجة
رضي الله عنها لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله
خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعبا الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد
في الصحيح انه قاله بعد لقايه الملك او يكون ذلك قبل لقياه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة
لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبرأية المنامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا
له عليه الصلاة والسلام ليلا يجاء الامر مشاهدة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية
وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن
ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجائني وانا نايم فقال اقرا فقلت
ما اقرا وذكر نحو حديث عايشة رضي الله عنها في غطه واقرايه اقرا باسم ربك السورة قال
فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت
لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها
فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت منادي ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل
فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال
وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما الصلاة والسلم وقبل اعلام الله له بالنبوة

واظهار

واظهار استطفاءه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله عنها انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله عنها انى لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بى جنون وعلى هذا يتاول هذا الوصف قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معانى الشك فى تصحيح ما راه وانه كان كله فى ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها وما بعد اعلام الله تعالى له ولقاء الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما اتى اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من الجبل قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه خوما كان يصيبه فقالت له خديجة رضى الله عنها اوجه الملك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة رضى الله عنها واختيارها امر جبريل عليه السلم بكشف راسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة رضى الله عنها فتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى ياتيه ملك وبزول الشك عنها لانها فعلت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ليختبر بهو حاله بذلك بل قد ورد فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها ان ورقه امر خديجة رضى الله عنها ان تخبر الامر بذلك وفى حديث اسماعيل بن ابى حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل عليه السلم اخبرها فقالت له اجلس الى شقى وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر واسنت به فهذا يدل انها مستثبته بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول معمر فى فترة الوحى فحزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى رؤوس شواهق الجبال لا يقدح فى هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر راويه ولا من حدث به ولان النبى صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبى صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل انه كان اول الامر كما ذكرناه وانه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب قومه كما قال تقتلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوه للتشاور فى شان النبى صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل عليه السلم فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر وخاف ان الفترة لامر اوسبب منه فخشى ان يكون عقوبة من ربه فعمل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عن ذلك فيعترض به وكهذا فرار يونس عليه السلم خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى فى يونس عليه السلم فظن ان لن نقدر عليه فنادى معناه ان لن نضيق عليه قال مكى طمع فى رحمة الله تعالى وان لا يضيق مسلكه فى خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه العقوبة وقيل لا يقدر عليه ما اصابه وقد قرئ يقدر عليه بالتشديد وقيل نواحيه يقضيه ودعايه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبى ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبه الله معاداة له ومعاداة الكفر لا يليق بالمومنين فكيف بالانبياء عليهم السلم وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد فى الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبى اخر فقال له يونس عليه السلم غيرى اقوى عليه منى فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ارسال يونس عليه الصلوه والسلم ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى ماية الف ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصه ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصه اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوه والسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله كل يوم ماية مره وفى طريق فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان

يكون هذا الغين وسوسة اوريبا وقع فى قلبه صلى الله عليه وسلم بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شئ يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطيه كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه ما يمنعه من الاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليه فى مقاسمات البشرية وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل هذا فى طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلوهمه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هناك ارفع حاليه رأى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا ممن على حاله وحفظا من رفيع مقامه فاستغفر الله تعالى من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ على ما سيأتى وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة الصوفية من قال بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه فى حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطر ويعن فكر من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التى تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عنها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة تحملهم على الاستغفار وقال غيره وليستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حاله خشيه واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازما للعبودية كما قال فى ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة تحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلم فلا تسألنى ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى آية نوح لا تكونن ممن تجهل ان وعدى حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلم والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك وليس فى آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها وكيف وآية نوح عليه السلم قبلها فلا تسألنى ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يساله عما طوى عنه علمه وانكنه مغيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اعلمه الله تعالى نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك اذ عمل غير صالح على معناه مكى كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم فى الآية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشرة التجسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال مثله فى القرآن كثير وبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء عليهم السلم منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا ء وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت

رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى الله عليه وسلم
لا يصح ولا تجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان تخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يحب
او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله
يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما السلم لا تخافا التشديد بصيرهما في الابلاغ واظهار
دين الله ويذهب عنهم خوف الهر والمضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الآيه وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين
كفروا الآيه وقوله ان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا تجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الآيه وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين **فصل** واما عصمتهم من
هذا الفن قبل النبوة وللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون من قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تقاضت الاخبار والآثار عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم
عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما بيناه عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من
اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد بهت نبينا صلى الله
عليه وسلم بكل ما افتروه وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته ما نض الله عليه او نقلته
الينا الرواة ولم يجز في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم بفضيلة الهته وتقريعه بذمه وبترك
ما كان قد جاءهم عليه ولو كان هذا كما قالوا بذلك مبادرين ويتلونه في معبوده محتجين ولكان
تبوئهم له بنهيهم عن ما كان يعبد قبل اقمع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم
وما كان يعبد اباؤهم من قبل فبي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو
كان لنقل وما سكتوا عنه كما تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم
وقد استدل القاضي القشيري رحمه الله على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم الآيه وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره
الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره
قبل مولده بدهور وتجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا تجوزه الا ملحدة هذا معنى كلامه
وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه
علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبرا ولا تشتبه عليك بقول ابرهيم عليه السلم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتدا النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد اتتخذ ازرى قال الزجاج قوله اتتخذ ازرى اي على قولكم كما
قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله
تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قول ابرهيم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يوفقني بمعونته اكون مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا
فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قول الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد ان نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها يقتضي انهم انما يعودون الى ملة كانوا فيها
من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث

الجهين عادوا عميا ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر فعاد ابعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبرى وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك منه وهداك الى الايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدى وغيره واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا فى
طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله تعالى الى الاسلام قال معناه المشترى وقيل
لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن
عباس رضى الله عنهما لم تكن ضلالة معصية وقيل هدا اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر
ابن محمد ووجدك ضالا عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرأ الحسن
ابن على ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى
والضال المحب كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا انها هنا فى الدين
اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند هذا انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة وقال
الجنيد ووجدك ضالا متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية
وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من
المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه الصلوة والسلم قوله فعلتها اذا
وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفه وقال الازهرى
معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى
ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان والجواب
ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الناس
الى الايمان قال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرايض والاحكام قال وكان
قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك
الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى شيبه بسنده عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلف احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلف فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا
حديث انكره احمد بن حنبل رضى الله عنه جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال
الدارقطنى تفرد ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله
فى الحديث الآخر الذى رويته ام ايمن حين كلمه والله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه
بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها مرضم تمثل لى شخص ابيض
طويل يصيح بى وراك لا تمسه فما شهد بعدهم عيدا وقوله فى قصه بحيرا حين استحلف النبى
صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى
فيه علامات النبوة واختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسالنى بهما فوالله ما
ابغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسالك عنه فقال سل عما
بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته
يخالف المشركين فى وقوفهم بمزدلفه فى الحج فكان يقف هو بعرفه لانه كان موقف ابرهيم عليه
السلم **فصل** قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء
عليهم السلام فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا
الباب من عقودهم فاعلم انها مملوه علما ويقينا على الجمله وانها قد احتوت من المعرفة والعلم
بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده
وقد قدمنا منه فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم فى الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه
على ما وراءه الا ان احوالهم فى هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط فى حق
الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها واعتقادها على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليه

وانزل اليوم من يوريكم لهبا لا تكلم

فيما ذهم متعلقة بالاخرة واسبابها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا بضادها بخلاف غيرهم
من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيأ من امر الدنيا فان ذلك يردي
الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلد واسياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء عليهم السلام وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كلا شهور واما ان
كان هذا القدر مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا
يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله تعالى فهذا لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف
الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بجوز
وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله عنها انما
اقضي بينكم برأي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات والقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على
راي بعضهم فلا يكون ايضا ما نعتقده مما يشعر اجتهاده الاحقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا
يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا
على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات
ولان القول في حظية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما
لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه
من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما اعلمه الله شيأ شيأ حتى استقر علم جملتها عنده
اما بوحي من الله عز وجل او اذن ان يشرع في ذلك وتحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير
منها ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ورفع الشك والريب في انتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة
اليه اذ لا تصح دعوة الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بمقدوره من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين
اسمايه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما كان ويكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا
ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله انى لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر عليهما السلم هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمايك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله
اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل
ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله سبحانه وتعالى وهذا ما الاخفاء به اذ
معلوماته تعالى لا تحاط بها ولا تتناهى فهذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع
والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني
وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة
قالوا واياك يا رسول قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني
الا بخير وعن عايشة رضي الله عنها بمعناه روى فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم اي القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم **قال القاضي ابو الفضل**
رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم
صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبه
في اطفاء نوره واماته نفسه وادخال شغل عليه او يبسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرضه

له في صلوته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره في الصحيح قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة
فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى ساريه حتى تصبحوا تنظروا اليه فذكرت
قول اخي سليمان عليهما الصلوة والسلام رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الآيه
فرده الله خاسيا وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو
الله ابليس جاني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر
تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر خوه وقال لاصبح موثقا يلاعب به ولدان اهل
المدينه وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش
في الايمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا
غالب لكم الآيه ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبه وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلم لكي من لمسه نجاء ليطعن ببره في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لدغ في سرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على فان قيل فما معنى قوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآيه فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله
واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل
ينزغنك يغريك وتحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على
عدوه او رام الشيطان من اغرائه وخواطره ادانى وساوسه مالم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه
فيكفي امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد
قيل في هذه الآيه غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور للشيطان في صورة الملك وليس عليه
لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقه اما بعلم ضروري خلقه الله له او ببرهان يظهر الله له
ليتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآيه فاعلم ان للناس في معنى هذه الآية اقاويل
منها السهل والوعث والسمين والمهزول واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني
هاهنا التلاوة والقاء الشياطين فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الآية بمزيد ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان عليه
السلم وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان بعد هذا مثبتة ومن قال
ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصه ايوب عليه السلم وقوله انى مسني
الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى
الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله واسره ليجتبيهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا
الشيطان وقوله عن يوسف عليه السلام فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه الصلاة والسلم
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب
في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤوس الشياطين وقال
صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزم منه الجواب عنه اذ لم يثبت
له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلم قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى انه انما نبي
بعد موت موسى عليهما السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف

عليه السلم

قولين احدهما ان الموكل به انساه الشيطان ذكر ربه

عليه السلم قد ذكرنا انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي
السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلم وايضا فان مثل هذا امر فعل الشيطا
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع عليهما السلم بوسواس ونزغ وانما هو يشغل خواطرهما بامور اخر غير
وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما شيا واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسه له بل ان كان يقتضي ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في
ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بالاذان فجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاه واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرجيل عن الوادي وعلة الترك الصلاه
به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض بهذا في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما قوله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلايل الواضحة بصحة المجزة على صدقه واجتمعت
الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا
عمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المجزة القايمة مقام قول الله صدق فيما
قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فيهذه السبيل عند الاستاذ
ابي اسحق الاسفرايني رحمه الله قال يقوله ومزجفة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم لامر يقتضي المجزة بنفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم
في مقتضى دليل المجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع
المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما
اوحاه اليه مزوحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت يا رسول الله اكتب كما اسمع منك
قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه
من دليل المجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المجزة على صدقه انه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن
الله الا صدقا وان المجزة قايمة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول
الله اليكم لا بلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح
ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما
تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق

فصل وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سوالات منها ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرا سورة النجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك
الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى
ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه
وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلم جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما
جيئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الآيه وقوله وان كادوا ليفتنونك الآيه فاعلم اكرمك الله ان لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث ما خذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ
الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم
متصل وانما اولع به ومثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب الملتقطون من الصحف
كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير وتعلق بذلك المحدثون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقايل يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه منها واخر يقول ان الشيطان

قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلم قال ما هكذا اقرأتك
واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواه ومن حكيت سنده
الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واصيه والمرفوع فيه حديث شعبه عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصه
قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلم يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد بين ذلك ابو بكر رحمه
الله تعالى انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك
فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فلا اجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن
مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهتهم غير الله وهو كفر وان يتسور
عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من
القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه الصلاة والسلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه
وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه
او لسانه لا عمدا ولا سهوا وان يشتبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان
عليه سبيل او ان يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية ووجه ثالث
وهو استحالة هذه القصه نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح والذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه
ولا من حضره من المسلمين وصنادبد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل
فكيف بمن رزح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة تصحيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد
علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب واجهله من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط الهدر على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنه وتعييرهم المسلمين والشمات
بهم الفتنة بعد الفتنة واريداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك
احد في هذه القصه شيا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين الصولة ولاقامت عليهم اليهود بها الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء بها حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روى في قصة الغرنيقية ولا فتنه اعظم من هذه
البليه لو وجدت ولا تشغيب للحادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند
فيها كلمه ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين وجه
رابع ذكر الرواة لهذه القصه ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان
ترد ان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته
لكاد ان يركن اليهم فضمون هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم
قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم
وانه قال صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روى عن ابن
عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار

ولم يذهب

ولم يرهب واكاد اخبرها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وتعنيف اذ سر
بالنهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال
ابن الانباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير
اخر وما ذكرناه من نص الله تعالى في عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم ترد شنشاقها فلم يبق في
الآية الا ان الله امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار ورامو
من فتنته ومراد نا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما الماخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك فمحال فقد اجاب على ذلك
ائمة المسلمين باجوبة منها الفت والسمين فمنها ما روي قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم
اصابته سنة عند قراءة هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه حكم النوم وهذا لا يصح اذ
لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا خلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله
عليه وسلم حدثت نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله صلى الله عليه وسلم
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا
ممكن مع بيان الفصل وقرينه يدل على المراد وانه ليس في المتلو وسواحد ما ذكره القاضي ابو بكر
ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر
ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه
يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكنات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنى اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله عز وجل ولحفظهم من
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه هذا ليس من الاصل بل هو بقول
من خط ابن حبيب عن خط المصنف وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال
المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روى من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا تعلمون الكتاب الا اماني
اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به وحكم اياته وقيل
معنى الآية هو ما يتبع النبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرئ فينبهه لذلك ويرجع عنه وهذا
نحو قول الكلبي في الآية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ
وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل
ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر
في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والفرانقة الملا فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد
ان هذا كان قرانا والمراد بالفرانقة الملا وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبي الفرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله
كما حكى الله تعالى عنهم وورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا
من قولهم ورجا الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الههم
ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته
ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بها سبيلا لا لباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى ذلك ثم نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما
يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان

الظالمين لفي شقاق بعيد ولعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم
الآيه وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السوره وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة
الثالثه الاخرى خاف الكفار ان يأتي شيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا
في تلاوه النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترايهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الآيه وبين للناس الحق من ذلك من الباطل ومحفظ القران
واحكم اياته ودفع ما ليس بقران وكما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الايه ومن ذلك
ما روي في قصه يونس عليه السلم انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا وكشف عنهم العذاب قال
لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم الله ان ليس في خبر من الاخبار الوارده في
هذا الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدمار
ليس بخبر يطلب مصدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا وكان ذلك كما قال
ثم رفع الله تعالى عنهم العذاب وتراكهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم الخزي الآيه وروي
في الاخبار انهم لما راوا دلايل العذاب وخافوه قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير
غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم انا كنت اصرف
محمدا صلى الله عليه وسلم حيث اريد كان يملي علي عزيز حليم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب
وفي حديث اخر فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح
عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد
وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكايه او لا لا توقع في قلب مومن ريبا اذ
هي حكايه عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله
ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لمسلم العقل يشغل بمثل هذه الحكايه سره وقد صدرت عن عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر
احد من الصحابه انه شاهد ما قاله وافتريه على نبي الله عليه الصلاه والسلم وانما يفتري الكذب
الذين لا يومنون بايات الله اولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحه لما كان فيها فتح ولا توهين
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه
ولا طعن في نظم القران وانكان من الله اذ ليس فيه توضح الكذب ان الكاتب قال له عليم حكيم
او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فسبق لسانه او قلمه لكلمه او كلمتين مما
نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول صلى الله عليه وسلم لها اذ كان ما تقدم مما
املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوه قدره الكاتب على الكلام ومعرفته
به وجوده حدسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا
الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جمله الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سوره وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجمل وقرانا
انزلنا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احدها وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها النبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم
ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا
جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جات على وجهين في غير مقاطع
قراها مما الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقضي الحق
ويقضى الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فنصف الله وتسميه

ذكرا

فى ذلك كيف شاء فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
من الاخبار التى لا مسند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحى بل فى امور الدنيا
واحوال نفسه فالذى يجب تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره فى شئ من ذلك
بخلاف خبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك فى حال رضاه وفى حال سخطه
وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف وجماعهم عليه وذلك انا نعلم
من دين الصحابة رضى الله عنهم وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره
فى اى باب كانت وعن اى شئ وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد فى شئ منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابى الحقيق اليهودى على عمر رضى الله عنه
حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضى الله عنه بقوله
صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودى كانت هزيلة بن ابى القسم فقال عمر
كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم
يرد فى شئ منها استدراكه عليه الصلوة والسلم لغلط فى قول قاله او اعترافه بوهم فى شئ اخبر به
ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما اشار به على الانصار فى تلقيح
النخل وكان ذلك رايا لا اخبارا وغير ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب كقوله والله لا
احلف على يمين فارى غيرا منها الا فعلت الذى حلفت عليه وكفرت عن يمينى وقوله انكم ستخصمون
الى الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما فى هذا من مشكل فى هذا الباب
والذى بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد فى شئ من الاخبار
بخلاف ما هو على اى وجه كان استريب بخبره واتهم فى حديثه ولم يقع قوله فى النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرفوه بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا قالت تعمد الكذب فى امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة
وكل هذا مما تنزه عنه منصب النبوة والمروءة الواجبة منه فيما يستشنع ويشين مما يخل بصاحبها
ويزرى بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عدد ناها من الصغائر فصل
يجرى على حكمها فى الخلاف فيها فيختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه
وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم
وتجويز شئ من هذا قادح فى ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا تجوز
على الانبياء عليهم السلام خلف فى القول فى وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا يتسامح
من يسامح فى تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا تجوز عليهم الكذب
قبل النبوة ولا الاتسام به فى امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم من الامم
وسوالهم عن حاله فى صدق لسانه ومما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على
عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه فى الباب الثانى اول الكتاب
ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث السهو
الذى حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال حدثنا القاضى ابو الاصبغ بن سهل حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا ابو عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك
عن داود بن الحصين عن ابى سفين مولى بن ابى احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت
الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفى الرواية الاخرى ما قصرت
وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدده
الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذى نرتضيه فلا اعتراض بهذا الحديث ولا شبهة واما
على من يرى منع السهو والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه فى مثل هذا عامد بصورة النسيان ليسن فهو
صادق فى خبره لانه لم يسن ولا تصرف ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه

لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احاله السهو عليه في الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما السبيل طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده
وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثالث
ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصرا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله
كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الروايات الاخر
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل
للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي اقول ويظهر لي
انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله انسى انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره كقوله
بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر
لست انسى ولكني انسى فلما قال له السايل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من
قبل نفسه وان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سال عنه فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك ليس
نفوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
وجه اخر استنزه من كلامه بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلاة مشغلا
بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قوله
واما قصة كلمات ابرهيم عليه الصلاة والسلم المذكوره في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوص
في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب
المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدر على من الموت وقيل سقيم القلب بما شاهده من كفرهم وعنادهم وقيل بل كانت الحمى تاخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وصحف ما اراد ببيانه لهم من حجة النجوم التي كانوا يشتغلون بها
وانه اتى نظرا في ذلك وقيل استقامت حجته عليهم في حال سقمه ومرض حال مع انه لم يشك هو
ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال لحجه سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نضه الله وقدمنا بيانه
واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فصح
فعله على طريق التنكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فايل اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المومنون اخوة فان قلت فهذا النبي
صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن
لاجل هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه الصلاة والسلام من
مواخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه
خلف في القول انما هو ستر مقصده ليلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السوال
عن مواضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول جهزوا الى غزوة كذا او
وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه الصلاة والسلم وقد سيل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله
انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله
عنهما هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة

وعلى

وعلى الطريق الاخر فيحمله على ظنه ومعتقده كما صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا يقتضي ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا اخلف فيه و قد يريد بقوله انا اعلم بما
يقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد واصول الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر عليه السلم
اعلم منه باصول اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرها
فكان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله تعالى ذلك عليه فيما قاله العلما انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا أو لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم ليبلا
يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته مزامته فيهلك لما تضمنه من مدح النفس
نفسه ويدنو ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا عليهم
السلم ففيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتد
به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا
الحديث احدى حجج القايلين بنبوة الخضر عليه السلم لقوله فيه انا اعلم من موسى عليه السلم ولا يكون
الولي اعلم من النبي واما الانبيا صلوات الله عليهم فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري
انه كان بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا ضعيف لانه ما
علمنا نبي غير الاخاه هارون عليه السلم كان في زمن موسى عليه السلم وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص
وفي قضايا معينه لم يخرج الى اثبات نبوة الخضر عليه السلم ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم
من الخضر عليهما السلم فيما اخبر عن الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى صلى الله عليه وسلم
وقال اخرا انما اتى موسى الى الخضر للتاديب لا للتعلم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح
من الاعمال ولا تخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارف المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا
صلوات الله عليهم من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه
وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنهم غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره
الاستاذ ابو اسحق وكذلك لاختلاف الفهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لاكمل
ذلك يقتضي العصمة منه المجمع مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغاير فجوزها جماعة
من السلف وغيرهم على الانبيا عليهم السلم وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها
والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا
العقل لا تحيل وقوعه منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى
من المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف
الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره
ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة
الباري في اي امر كان تجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي
الله صغيرة الا على معنى انها تقترن باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيه في المغفور عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة
ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا لا يجب على القولين ان تختلف انهم معصومون
عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة
واسقطت المروة واوجبت الازرا والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا عليهم السلام
اجماعا لان مثل هذا يحط منصبة المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا صلوات
الله عليهم منزهون عن ذلك بل نلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله كفروجه بما ادى
اليه عن اثم المباح الى الخطر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الايمة على عصمتهم عن الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا
وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهم من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن

مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن شريح والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن
قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس
كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يوسم المرء باستنان
امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ويزيد هذا
حجة بان يقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون انه لا يقر على منكر من
قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره
ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ يجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او
الندب على الاقتداء بفعله بينا في الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة
رضي الله عنهم قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجا جهم بر ويته ابن
عمر رضي الله عنهما اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غيره واحتجهم في غير
شيء مما يابه العبادة والعادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا احتجبتها الى
اقبل وانا صائم وقالت عايشة رضي الله عنها لحجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وغضب صلى الله عليه وسلم عن الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال كلل الله لرسوله ما يشاء وقال
اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والانذار في هذا اعظم من ان يحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم بها ولو جوز واعليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا
وانقل عنهم وظهر لحنهم عن ذلك ولما انكره صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله واعتذاره
بما ذكرنا واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايد بهم
كما يدري غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت لهم صدورهم من انوار
المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله تعالى والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضروري
ما يتقوون به على سلوك طريقتهم وصلاح دينهم وصيرورته دنياهم وما ياخذ على هذه السبيل
النحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرقا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان بذلك
عظيم فضل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى سايز انبيايه عليهم السلم بان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي
قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب ونقص
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب كيف والمسلة تصورها كما لمتبع فان المعاصي والنواهي انما تكون
بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا
لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير
موجودة ولا معتبرة في حقه حينيذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي بعد
وتقرر الشريعة ثم اختلف هؤلاء القايلون لهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى
فرق الامة القاضي ابو بكر رضي الله عنه الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر طريق
السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من هم امره واولى ما اهتبل
به من سيرته ولخزبه اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شيء من ذلك جملة وذهبت طايفة
الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت
فرقة اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل
الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت
فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن تعيينه واجم وحبس بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فمن كان يتبع
فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في
هذه المسلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر واجمعها مذاهب المعينين اذ لو كان

هو الباقلاني المالكي

شيء

شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جهله ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم تثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد لقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله جماعة منهم في هذه الآية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبياء غير نبينا او نخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فايما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه عسى ان يجنح في كل شيء فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الافعال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعيه مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذه عليه فاحوال الانبياء عليهم السلم في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اعلمهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعهم فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جواز وقوعه عليه قصدا وسهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا تجوز طرد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بعض القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بوجوهها نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغيه والاحكام الشرعيه سهوا وعن غير قصد منه جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغيه لقيام المعجز على الصدق في القول ومخالفة ذلك ينافضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في النبي صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في المنعم بعيدة عن سمات النقص واعراض الظنين فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور عن قول بعضهم وهو الصحيح وقيل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها وحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته وينا قض معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب سنذكرها بعد ان شاء الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع واحلناه في الاخبار جمله وفي الاقوال الدينيه قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينيه على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود

رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله تقتضي ليستن به اذا البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس ويظهر فائدة الحكمة فيه كما قررناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روى اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله تعالى يحتمل ما قاله ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشئ والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة وما في الصلوة شغلها الا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمدا وقصر الليث وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يخلى منه بطايل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم امر يتجدد صوره النسيان ليس لقوله اني لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظم المحققين من ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتض غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطايفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه لقوله بيسما لاحدكم ان يقول نسيت ايه كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشا وبه اجيب من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادايها الى وقت الامن وهو مذهب الشامين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان العلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وغيبته في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصح هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقوله بلال ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم او تاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر يرشد الله لا يقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم حتى يكون منتقضا وفيه لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان قروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس رضي الله عنه المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نوم مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوء مجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسته الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا وقيل انه لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رويه الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلو لا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا رضي الله عنه بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون فاذا

نسيت

نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في
هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القرآن اي ان الفضله
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطر اليها يعلم ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان
يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم
لما اسقط من هذه الايات جايز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ونحوه من القلوب وترك استذكاره وقد تجوز ان
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة وتجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا
خلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يتذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان
المجوزين للصغاير على الانبياء عليهم السلم من المفرطين والمحرفين ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز
الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم تكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجات اقاويل فيها للسلف خلاف ما التزموه من ذلك فان لم يكن
منهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به من ذلك قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة
غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شا الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الايه وما قص من قصص غيره من الانبياء عليهم السلم كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله
عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآيه وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الآيه وقوله عن
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود عليهما السلام وقوله
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم
بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى عليه السلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا
من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت
ونحو من ادعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الانبيا عليهم السلام في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان قال الله تعالى له
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم عليه السلم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما
احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلم انه
مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد
بذلك امته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن عطاء ونحوه والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
قال مكي خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا وهي لمخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما امر ان يقول ما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الآية ويسال المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فصار الآية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من
العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو
قول ابن زيد والحسن ومعناه قول قتادة وقيل معناه احفظ قبل بنوته منها وعصم ولولا ذلك
لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغتنا

حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل اثام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرحنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه حفظنا عليك ما حملت
حفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اى كاد ينقضه فيكون المعنى على من حمل ذلك
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفاية لمرتدون
لو كانت لانقضت ظهره او يكون مرثقل الرسالة او ما ثقل عليه ويشغل قلبه من امور الجاهلية واعلامه
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم النبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال [illegible] نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم
يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفى هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك وخبره
للقشيري قال وانما يقول الفضولا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله
عنك اى لم يلزمك ذنبا قال الماوردي رؤى انها تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل
فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك
كما قال صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده وقد
الاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روى عن ابن عباس
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال
حتى خشي عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد
النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم وزاد هذا القول تفسيرا وبيانا
بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى
وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان صلى
الله عليه وسلم قد خير في ذلك وقد روى عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا
الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه
وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من
الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل العذاب
عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه ورايي من اخذ بما اخذه في اعزاز الدين
واظهار كلمته واباده عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا لنجا منها عمر ومثله وعيب عمر
لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم في ذلك عذابا بل حلله لهم فيما سبق وقال
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا اجمل الامر اليه فقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي ابو
ابن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه لهم من احلال
الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فاعتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل

على ان

على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفه ما كتبه في اللوح المحفوظ من ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار او تذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى ونعم النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية وخلافة وما قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو علي واما قصة آدم عليه الصلوة والسلم وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطى فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عاهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما اظهرا لهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحالا لالهاوكهما اغتر اذ حلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقد روي عذر آدم عليه السلم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عنده اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان مليسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك رحمه الله تعالى وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه جملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس عليه السلم فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس في قصة يونس عليه السلم نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم قال والله لا اقالهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكن بهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عن بعضهم بذنبه فاما ان يكون خروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لرعاية بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه السلم بهلاك قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه تنزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء عليهما السلم ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلم فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقل بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله حسن مآب وقوله فيه اواب ومعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ما زاد داود على ان قال لرجل انزل لي عن امرأتك واكفلينها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله

بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نبى ما اضيف فى الاخبار الى داود عليه السلم من ذلك ذهب احمد بن نصر وابن تمام وغيرهما من المحققين قالوا الذى وردى ليس فى قصة داود عليه السلم واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان فى نتاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف عليه السلم واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء عليهم السلام قال المفسرون يريد من نبى من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف عليه السلم ما فعلوا صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قوله الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من هو بها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف عليه السلم من هذا ويكون قوله وما ابرى نفسى الآية اى ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بخالفة النفس لما زكى قيل وبرى فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف عليه السلم لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اى ولقد همت به لولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى الآية قيل فى زنى الله وقيل الملك وقيل هم بها اى بزجرها وعظها وقيل هم بها اى عنها استاء عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال التسايل الى يوسف عليه السلم ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلم مع قتيله الذى وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله انه قبل نبوة موسى عليه السلم وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يومر وقال المقاتل لم يقتله عن عمد سريرة القتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التاريخ وقوله تعالى فى قصته وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل لقاه فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة من النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل فى عرف الشرع فى اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت عليه السلم جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما تحكم على موسى عليه السلم بالتعدى وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جايز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه مزاناه لانا رمها وقد تصور له فى صورة ادمى ولا يمكن انه علم حينيذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلم الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اليسر منها عندى وبوتاويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة ودفعا عين حجته وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلم وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مايتى امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس مجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب المعانى والشق هو الجسد

من العرب
المازرى
صاحب المعلم
من فوايد مسلم

الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته وفتنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب
عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه
على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسايه ولا يصح ما نقله الاخباريون مما تشبه الشيطان
به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته باجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عصم الانبياء عليهم السلام مما شاله وان سيل لم يقل سليمان عليه السلم في القصة المذكورة ان
شاء الله فمنه جوابان احدهما ما روي في الحديث الصحيح انه سنى ان يقولها وذلك ليفيد مراد الله
تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل
هذا سليمان عليه السلام فيما حكاه غيره على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصوده في ذلك على ما
ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مرة امتحانه على
قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله تعالى فضيلة وخاصية مختص بها كما اختص
غيره من انبياء الله ورسله عليهم السلام بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالناقة الحديد لابيه واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحوه
هذا واما قصة نوح عليه السلم فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك لانه شك في وعد الله نبيه
الله تعالى عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه
مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه
على ربه بسواله ما لم يوذن له في السوال فيه وكان نوح عليه السلم فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر
ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقتضي على نوح عليه السلم معصية سوى ما ذكرناه من
تاويله واقدامه بالسوال فيمن لم يوذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا
الحديث ان هذا الذي الى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع
المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله
عنها لمخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى
احتمال الصبر وترك التشفي كما قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل
الما اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات
في كل هذا امر نهي عنه ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله تعالى
اعلم من سعيد بن جبير قال قيل ما معنى قوله عليه السلم ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى
ابن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت من غير
قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا انفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى
وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكايهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وبسننه
في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا بها او عوتبوا
بسببها او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء
اي اخرة واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبايير والفواحش ما يكون بالاضافة
اليه الى هذه المهمات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يحيرونها بالاضافة

الى على احوالهم كالسيات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت مزهوة
اوتاويل ففى المخالفة وترك وقوله غوى اى جهل ان تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطا
ماطلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلم قد اوخذ بقوله لاحد صاحبى
السجن اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين قيل انسى يوسف
عليه السلم ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبى صلى الله عليه وسلم لو لا كلمة
يوسف ما لبث فى السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف عليه السلم قيل له اخترت مزدوني
وهلا لاطيلن حبسك فقال يارب انسى قلبى كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبيا بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده وتجاوز عن سايرالخلق لقلة مبالاتهم فى اضعاف ما اتوا به مزنسو الادب
وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا عليهم السلم يواخذون بهذا
مالا يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكر تر وحالهم ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوا
حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت تلك المواخذة فى هذا على حد مواخذة غيرهم
بل نقول انهم يواخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا لمثابة مرتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدا وقال لداود
فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخر نا له الريح الى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات
الانبيا فى الظاهر زلات وفى الحقيقة كرامات وتشارف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم
من البشر بهم او ممن ليس فى درجاتهم بمواخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا الحى سببه
ليلتزموا الشكر على النعم ويصبروا الصبر على المحن بالاحظة ما وقع باهل هذا المنصاب الرفيع المصون
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود عليه السلم بسطة للتوابين قال ابن خطا
لم يكن ما نص الله تعالى من قصة حاجب الحرث نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم
وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغاير باجتناب الكبايرفما جوزتم مزوقوع
الصغاير عليهم هى مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبيا عليهم السلام
وتوبتهم منها وهى مغفورة لو كانت فما اجابوا به هو جوابنا عن المواخذة باهمال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا صلوات
الله عليهم على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال
صلى الله عليه وسلم وقد امن من المواخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال
انى اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحرث بن اسد رحمه الله تعالى خوف الانبيا عليهم السلم
خوف اعظام وتعبد لله لا نهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم امتهم كما قال صلى الله
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان فى التوبة والاستغفار معنى اخر
لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فاحدات الانبيا والرسل صلوات الله عليهم الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
فى كل حين استدعا لمحبة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله
عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة تنافى العلم بشى من ذلك كملة جملة بعد النبوة عقلا
واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشى مما قررناه مزامور الشرع واداه عن ربه من الوحى
قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير
قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا
وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته فى كل حالاته مزرضا وغضب وجد ومزح
فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فايدتها وخطرها فان من جهل ما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكام لا يامن ان يعتقد فى بعضها خلاف ما هى عليه ولا تنزيهه عما لا يجب ان يضاف اليه

فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة المدرك الاسفل من النار اذ اطلق الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه تحل بصاحبه دار البوار ولهذا احتاط صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين
رآياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفيه فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيأ فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد
ما نكتنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيأ منها يرى ان الكلام فيها
جله من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة
ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبتني عليها مسايل لا تتخذ من الفقه وتتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقها في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولا بد من بيانه في صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا
تجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وخسب اختلافهم في وقوع الصغاير وقع
خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة تحتاج اليها
الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيأ من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم على الفتيا في ذلك ومن اين يدري
هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان تجري على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضع حرمة
للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلماء والمحققين في عصمة
الملايكة **فصل** في القول في عصمة الملايكة عليهم السلم اجمع المسلمون ان الملايكة مومنون
فضلا واتفق ايمة المسلمين ان حكم الرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وانهم في معرفة الانبياء عليهم السلم والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين
منهم فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الآية وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته وقوله كرام برره ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من التسمات وذهبت
طايفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشيأ ذكرها اهل الاخبار والتفاسير
نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيههم عما نسب اليهم الرفيع
عن جميع ما يحط عن رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار ان لا احاجر بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام في ذلك ما الكلام في عصمة الانبياء صلوات الله عليهم من الفوايد
التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرين وما روي عن علي وابن
عباس رضي الله عنهم في خبرهما وابتلايهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرد منها شي لا يسقيم
ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس والذي منه في القران اختلف
المفسرون في معناه وانكرها قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود
وافترايهم كما نصه الله تعالى اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان عليه السلم وتكفيرهم اياه وقد
انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة
ملكين بكسر اللام وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة واكثر المفسرين ان الله
تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان علمه كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قالوا
الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يبطلب تعلمه لا تتعلموا
كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تحتيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران ذكرت
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقراء بعضهم وما انزل على
الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكرت
غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف
لا ينزههما عن كبايير المعاصي والكفر المذكورة وفي تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل بريان ما نافية

وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي انتحلته
عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكايل عليهما
السلم ادعى اليهود عليهما المجيء كما ادعوا على سليمان عليه السلم فاكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقراءة وما انزل على الملكين بكسر اللام وكون ما الجاباً على هذا كذلك
قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفياً على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فتحمل الآية
على تقدير ابي محمد مكي حسن تنزه الملائكة عليهم السلام وتذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيراً وقد
وصفهم الله عز وجل بانهم مطهرون وكرام برره ولا يعصون الله ما امرهم ويما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكة وربيساً فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناء من الملائكة بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضاً لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في
الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقاً من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا
لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله تعالى الا ابليس في اخبار لا اصل لها يردها
صحاح الاخبار فلا يشتغل بها **الباب الثاني فيما يخصهم** في الامور الدنيوية ويطرا عليهم من
العوارض البشرية قد قدمنا ان صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء والرسل من البشر وان جسمه
وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغيرات والالام والاسقام وخرج كما من الحمام
ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصاً بالاضافة الى ما هو اتم
منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها حيين وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فخمش
شفته وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى
نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم وكرم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
سمات البشر التي لا تحيص عنها واصاب غيره من الانبياء عليهم السلم ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا
ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الافات ومنهم من عصمه
كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس فلما لم يكف نبينا عليه الصلوة والسلام ربه
بدا بان قمية يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون
عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولما لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من
سم اليهودية وهكذا ساير انبيائه عليهم السلم مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمة ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق باتحادهم بشريتهم ويرفع الالتباس عن
اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال النصارى لعيسى عليه السلم
وليكون في فجاتهم تسلية لامتهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماماً على الذي احسن اليهم قال
بعض المحققين وهذه الطوارق والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالباً عن ذلك معصومة
سنه متعلقة بالملاء الاعلى والملائكة لاحظها عنهم وتليقها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وقال لست انسى ولكني انسى ليستن بي فاخبر صلى الله عليه وسلم ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل
منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار
انه كان محروساً من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف

لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملة وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك
وانه خلاف فهم لقوله لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى وكذلك اقول انه فى
هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم تجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما تعترى غيره من البشر مما ناخذ بعد فى بيانه فصل
فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد الصبا
بقراءتى عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخارى حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه
انه فعل الشى وما فعله وفى رواية اخرى حتى كان انه يخيل اليه انه كان ياتى النساء ولا ياتيهن
الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك فى الشرع وقد نزه الله
الشرع والنبى صلى الله عليه وسلم عما يدخل فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل تجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه كان
يخيل اليه انه فعل الشى ولا يفعله فليس فى هذا ما يدخل عليه دخله فى شئ من تبليغه او شريعته او يقدح
فى صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه فى امر دنياه التى
لم يبعث بسببها ولا افضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه
من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله
حتى يخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن وقد قال سفين وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات
فى خبر منها انه نقل عنه فى ذلك قول يخالف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر تخييلا
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشى انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فيكون
اعتقاد انه كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا
الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد
ظهر لنا فى الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوى الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بنى
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه فى بير حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم
دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن الواقدى وعن عبد الرحمن بن كعب وعن
ابن الحكم وذكر عن عطاء الخرسانى عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة
نبينا هو ناجم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانما اثر فى بصره
وحبسه عن وطاء نسايه ويكون معنى قوله تخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن اى يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى
من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة
رضى الله عنها فى الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشى وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر
فى الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره لم يكن على ما خيل اليه لما
اصابه فى بصره وضعف نظره لا لشى طرا عليه فى سره واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له
وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يحدث له المحذر المعترض انسا فصل هذه حالة صلى الله عليه وسلم فى جسمه
فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسيرها على اسلوبها المتقدم بالعهد والقول والفعل اما العهد منها
فقد يعتقد فى امور الدنيا الشى على وجهه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور
الشرع كما حدثنا ابو بحر سفين بن العاص وغيره واجد سماعا وقراءة قالوا حدثنا الحسن احمد بن عمر قال
حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا عبيد
الله الروى وعباس العنبرى واحمد المقرى قالوا حدثنا المفضل بن محمد قال حدثنى عكرمة حدثنا ابو

روى يحيى بن سعيد عن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نبى مرض فخير بين الدنيا والبقاء الا اختار البقاء على الدنيا وذلك ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون

وطعام واضعف جسمه وامرضه

الحواشي حدثنا رافع بن خديج رضي الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك
له فقال انما انا بشر مثلكم اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأي فانما انا بشر
وفي رواية انس رضي الله عنه انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني
بالظن وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطيء واصيب وهذا
على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه صلى الله عليه وسلم في امور الدنيا وظنه مزاحمها الا ما قاله
من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام
هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى
نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله عز وجل وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عروه
على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من
امور الدنيا التي لا مدخل فيها للعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس
في هذا كله نقيصة ولا لحظة وانما هي امور اعتيادية يعرفها مجربها وجعلها همه وشغل
نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح بعلوم الشريعة
متعبد البال بصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في
النادر وفيما سبيله الترفيق في حراسة الدنيا واستمارها لا في الكثير الموذن بالبله والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة فرق
اهلها ما هو معجز في البشر مما قدمنا عليه في باب معجزاته صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل
وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا
يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى قال حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن
كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة رضي
الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل
بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وجرى احكامه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة
المعاقص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سراير عباده
ومخبآت ضماير امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين
او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا الوكان مما يختص بعلمه ويوثره الله تعالى به لم يكن الامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من
ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك
القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له مما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا
مما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من الناس
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم
ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاولين
فكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فايدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بن بذلك كله حكام امته ويستن بسنته بما يورد عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عن من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفضي عروة من عصمته
فمثل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد

قدمنا

قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز ورودها منه في الامور الدينيه لاسيما القصد المصلحة كتوريته عن وجهه مغازيه ليلا يأخذ العدو حذره وكما روي عنه من مزاحته ودعابته لبسط امته وتطيب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله المراة التي سالته عن زوجها هو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدينيه فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء وينهى احدا عن شيء وهو مبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين فكيف ان يكون له خاينة قلب فان قلت فما معنى اذ تقول تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الآية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى مثله عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل على انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله له فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله تعالى ليرخص لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما احل مثال فعل لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته وحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم قال القشيري رحمه الله تعالى وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوج ابنها زيد رضي الله عنه وانما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم ونحوه لابن فورك وقال ابن الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله عز وجل اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها ستزوجه فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد حسن قول الناس بتزوج امراة ابنه فامره الله بتزوجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قبل الشهرة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسان الحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحيا ان

يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل
الابناء كما كان نعته الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على ترك
مراعات رضا ازواجه فى سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله لم تخفى
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة رضى الله عنهما لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا لكتم هذه الآية مما فيها من عتبه وابدا ما اخفاه **فصل** فان قلت
قد تقهرت عصمته صلى الله عليه وسلم فى اقواله فى جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا
اضطراب فى عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث فى وصيته صلى الله عليه وسلم الذى حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله
تعالى قال حدثنا القاضى ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا
معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما احتضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفى رواية ايتونى اكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعدى ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعونى فان الذى
انا فيه خير وفى بعض طرقه ان النبى صلى الله عليه وسلم يهجر وفى رواية يهجر ويروى اهجر ويروى
هجرا وفيه فقال عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب
الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم
من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر
رضى الله عنه قال ايمتنا فى هذا الحديث النبى صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض
وربما يكون مزعوا رضها مزشهرة وجع او غشى وخوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه
من القول اثناء ذلك ما يطعن فى معجزته ويردى الى فساد فى شريعته مزهدريان او اختلال
فى كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى الحديث يهجر اذ معناه هذيان يقال هجر يهجر
اذا هذى وابهجر يهجر اذا افحش وابهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار
على من قال لا نكتب وهكذا رواياتنا فيه فى صحيح البخارى من رواية جميع المرواه فى حديث الزهرى
المتقدم وفى حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلى بخطه فى كتابه وغيره
من هذه الطرق وكذا روياه عن مسلم فى حديث سفيان وعن غيره وقد حمل عليه رواية
من رواه يهجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجرا وان تحمل قول القايل هجرا او اهجر هشتر
من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهدوه من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
وهول المقام الذى اختلف فيه عليه والامر الذى هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القايل
لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه مجوز عليه الهجر كما حلهم الاشفاق
على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وخوه هذا واما على رواية اهجرا وفى
رواية ابى اسحق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية
قتيبه فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم
اى جيتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
لهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم او امر النبى صلى الله عليه وسلم ليعلم اجابتها
من ندبها من اباحتها بقراين فعل قد ظهر من قراين قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم فما فهموا
انه لم تكن منه عزمه بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه
فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما راوه من صواب راى عمر رضى الله عنه ثم هو لاء
قالوا او يكون امتناع عمر رضى الله عنه اما اشفاقا على النبى صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك
الحال املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقه من ذلك كما قال ان النبى صلى الله عليه وسلم اشتد
به الوجع وقيل خشى عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون فى الحرج بالمخالفة وروى ان

الارفق بالامة فى تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطئ مأجورًا وقد علم عمر رضى الله عنه تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم
اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتى وقول عمر حسبنا كتاب
الله ردّ على من نازعه لا على امر النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر رضى الله عنه خشى تطرق
المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب فى ذلك الكتاب فى الخلوة وان يقولوا فى ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصيه وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان مخيرًا فى هذا الكتاب لما طلب منه لانه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض
اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها واستدل فى مثل هذه القصه بقول
العباس لعلى رضى الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه
وكراهه على رضى الله عنه هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعونى فان الذى انا
فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعونى مما طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابه
امر الخلافه بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديث ايضا الذى حدثناه الفقيه ابو محمد
الحشنى بقرائى عليه قال حدثنا ابو على الطبرى حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى
حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبه حدثنا الليث عن سعيد بن ابى سعيد عن
سالم مولى المضريين قال سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته
او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفى رواية فايما احد دعوت
عليه دعوة وفى رواية ليس لها باهل وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبى صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد ويفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم
من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اى عندك يا رب فى باطن امره
فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال والحكمة التى ذكرناها احكم عليه الصلوة والسلم تجلده
او اذيته بسببه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على امته ورافته
ورحمته للمومنين التى وصفه الله تعالى بها وحذره ان تقبل فى من دعا عليه دعوته ان تجعل دعاءه
وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح لا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله تعالى حمله على معاقبته بلعنه
اوسبه وانه بما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل
انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله وقد يحمل ما ورد من
دعائه هنا ومن دعوانه على غير واحد فى غير موطن على غير العمد والقصد بل بما جرت به
عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله ترتب يمينك ولا اشبع الله بطنك وعفر جبينى وغيرها
من دعوانه وقد ورد فى صفته فى غير حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال انس رضى
الله عنه لم يكن سبابًا ولا فحاشًا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله عليه وسلم من مواقعة امثالها اجابة فما صدر به كما قال
فى الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه
وتانيسًا له لئلا يحتقر من استشعار الخوف والحذر من لعن النبى صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده اوسبه على حق وبوجه صحيح
ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتحية لما اجترم وان يكون عقوبة له فى الدنيا بسبب العفو
والغفران كما جاء فى الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له فان قلت فما
معنى حديث الزبير رضى الله عنه وقول النبى صلى الله عليه وسلم له حين خاصمه مع الانصارى فى
شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال الانصارى ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه فى هذه القصة امر ريب ولكنه صلى الله

وقيل انه كان من النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختيار لهم فى ذلك او كانوا يعلمون من ذلك امرًا لا يعلمه غيرهم فلما اختلفوا تركهم

عليه وسلم ندب الزبير رضي الله عنه اولا الى الاقتصار عن بعض حقه على طريق التوسط والصلح
فلما لم يرض بذلك الاخر وج وقال ما لا عجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي
وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشه
من نفسه لم يكن لتهمة حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشه قال له وضربتني
بالقضيب فلا ادري أعمدا ام اردت ضرب الناقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشه
ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب صلى
الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك
حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع ادب لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث
سواد بن عمرو رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا مستحلق فقال ويرسن ويرسن خط
خط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
انما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد ضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه
انجاع لم يقصد طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله صلى الله عليه وسلم
الدينويه فحكمه فيها من توفي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله
عليه وسلم على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا
اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها لنفسه الا ضروريا وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة
ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيها بينه وبين الناس من ذلك
فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف منار او قصر
معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظايف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدينويه بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب
في تصرفه ما قرب الحمار وفي اسفاره الراحله ويركب البغله في معارك الحرب دليلا على الثبات
ويركب الخيل ويعدها لليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وساير احواله بحسب
اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة
وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى غيره خيرا منه
وقد يفعل هذا في الامور الدينيه مما له الخيره في احد وجهيه كخروجه من المدينه لاحد وكان
مذهبه التحصين بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم سوالغه لغيرهم ورعاية
للمومنين من قرابتهم وكراهته لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث
وتركه بنا الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين فقال في الحديث الصحيح لعايشه رضي الله عنها
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويقول في منزله ما يقوله الخادم من مهنته ويستمع في مسلايه حتى لا يبدو منه
شيء من اطرافه وحق كان على رؤس جلسايه الطير ويحدث مع جلسايه بحديث اولهم
ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن عن جلسايه يقول ما كان لنبي ان تكون له خاينة

الاعين

الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشه رضى الله عنها فى الداخل عليه بيس المشيرة فلما دخل عليه الان
له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز
ان يظهر له خلاف مايبطن ويقول فى ظهره ما قال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم كان
استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل فى الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله
فيجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة
الدينيه وقد كان يستالفهم باموال الله تعالى العريضه فكيف بالكلمة اللينه قال صفوان اعطانى وهو
ابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار احب الخلق الى وقوله فيه بيس ابن العشيره هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله وتحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لاسيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزا
بل واجبا فى بعض الاحيان كعادة المحدثين فى تجريح الرواه والمزكين فى الشهود فان قيل فما معنى
المفضل الوارد فى حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعايشه رضى الله عنها وقد اخبرته ان
مولى بريره ابى بيعها الا ان يكون لهم الولا فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطى لهم
الولا ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله كل شرط ليس
فى كتاب الله فهو باطل والنبى صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولوله والله
اعلم لما باعوها من عايشة رضى الله عنها كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطلها صلى
الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه عما
يقع فى بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة
قوله اشترطى لهم الولا ذ ليست فى اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى
عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنه وقال فان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطى عليهم الولا لك
ويكون قيام النبى صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولا لانفسهم قبل ذلك
ووجه ثالث ان قوله صلى الله عليه وسلم اشترطى لهم الولا ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولا لمن اعتق
فكانه قال اشترطى او لا تشترطى فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودى وغيره وتوبيخ
النبى صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله اشترطى لهم الولا اى اظهرى لهم حكمه وبينى عندهم سنته ان الولا انما هو لمن
اعتق ثم بعد هذا اقام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على ما لفه ما تقدم منه فيه
فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلم باخيه اذ جعل السقاية فى رحله واخذه باسم سرقتها
وما جرى على اخوته فى ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الآيه
تدل ان فعل يوسف عليه السلم كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله الآيه فاذا كان ذلك فلا اعتراض عليه وكان فيه ما كان
وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى تعيين من عقبى الخبر له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلم فيلزم عليه الحمل شبهة ولعل قايله ان
حسن له التاويل كما ينا من كان ظن فى صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبيا عليهم السلم مالم يات انهم قالوه حتى يطلب
الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن ولات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة فى اجرا الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم الصلاة والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحن ابراهيم كايوب ويعقوب ودانيال وتحيى وزكريا وعيسى
وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم وهم خيرته من خلقه واحبابه واصفياوه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلها تجرى جميعها صدق لا تبديل لكلماته يبتلى
عباده كما قال لهم ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين وليعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم وامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسبابا لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر

والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين
ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ونحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ قال
حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن ابيه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال
الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة
ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات المتلوة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه
ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان عليه السلم انه قال يا بني الذهب والفضة تختبران بالنار
والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف عليهما السلم كان سببه التفاته اليه
في صلوته ويوسف نايم فحبه له وقيل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل جمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه ولكثرة حبه له عجز لبكايته وبينهما جدار ولا علم
عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكا اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يا مرسناد يا ينادي على سطح الا من كان مفطرا
فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نضى الله عليها وروي عن
الليث ان سبب بلاء ايوب عليه السلم انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا
له الا ايوب فانه رفق به لخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان عليه السلم
لما ذكرناه من نبيته في كون الحق في جنبة اصحاره او الحمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رضي الله عنه
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا
قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل
ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا
معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى
بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا
ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى
بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عايشة وابي وجاهد رضي الله عنهم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في روايته
عايشة رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال في رواية ابي سعيد رضي الله عنه ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا
حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه ما من مسلم مؤمن يصيبه الله الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله تعالى في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مما تضعف
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاة واخره كما يشاهد من اختلاف
احوال المرتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح

كذا

تكفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة يقصمها
الله ممناه ان المومن مرزء مصاب بالبلاء والامراض رياض بتصريفه بين اقرار الله منطاع
لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها
لهبوبها وترخمها من حيث ما انتفقا فاذا زاح الله عن المومنين رياح البلايا واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع
بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا
نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ماله فيها من الاجر
وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالى المرض او شدته والكافر بخلاف هذا
معانى فى غالب حاله متمتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله تعالى هلاكه قصمه
الحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كما خماف الانهزة وكما قال
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله فى اعدايه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية فجاجيهم بالموت على حال
عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا كره السلف موت الفجاة ومنه فى حديث ابرهيم
كانوا يكرهون احدة كاخذ الاسف اى الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض
نذير الممات وتقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تناهيها له للقاء
ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى
تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويوردى الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية
فيمن تخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد
طلب التنصل فى مرضه ممن كان له عليه مال او حق فى بدن او اقاد من نفسه وماله واسكن من
القصاص منه على ما ورد فى حديث الفضل وحديث الرفاء واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته
وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب ليلا يضل امته بعده اما فى النص على الخلافة او الله اعلم
بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليايه المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لا ماء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله
تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى رجل مات فجاة سبحان الله كاد على غضب المحروم من حرمه وصيته
وقال موت الفجاة راحة للمومن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت ياتى المومن وهو
غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وياتى الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا
اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت اشد عليه وفراق الدنيا اقطع لامر صدره واكره شى له والى هذا المعنى اشار صلى الله
عليه وسلم بقوله من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره الله لقاه القسم الرابع فى تصرف
وجوه الاحكام فى من يقصده او سبه صلى الله عليه وسلم قال القاضى ابو الفضل رضى
الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله عليه وسلم وما يتعين
له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وجسب هذا حرم الله تعالى اذاه فى كتابه واجمعت الامة على قتل
من قصده من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان
لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال
تعالى فى تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية
وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله تعالى المومنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهى المومنين عنها
لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل لما فيها من مشاركة اللفظ
لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبى صلى الله عليه

وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى المتكنى بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكنى بكنيته ليلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه وتجد بذلك المنافقون والمستهزون ذريعة الى اذاه والازراء به فيما دونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا السواه تفنيئا له واستخفافا لحقه على عادة الجبان والمستهزين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل بعضهم النهي عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة والناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه برسول الله ونبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة المتسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذ لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا تسموا احدا باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى ابن سعيد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا ترع محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احدا باسم الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغيرهم احد قال ما ضار احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا

الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عيب في جهته العزيزة بسخف من الكلام وبجو ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غضه ببعض العوارض البشرية الجايزة والمعهودة لديه صلى الله عليه وسلم هذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي رضي الله عنهم قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء ومثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن ينقصه صلى الله عليه وسلم او يعرى منه او كذب به وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزنديق وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفرا كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه

عليه بعذاب الله له وحكمه عند الائمة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين
ابن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضى الله عنه مالك بن نويرة لقوله عن النبى
صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى
وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والمشبه
وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم فى المشبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند
الائمة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم
النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير فى صلبه حيا
او قتله ومن رواية ابى المصعب وابن ابى اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك
انه قال من سب النبى صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين عليهم السلم من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وقال اصنع يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال
عبد الله بن عبد الحكم من سب النبى صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبرى
مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك رضى الله عنه من قال ان رداء النبى صلى
الله عليه وسلم ويروى ازار النبى صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع
العلماء على ان من دعا على نبى من الانبياء بالويل او بشىء من المكروه انه يقتل بلا استتابة رأى ابو
الحسن القابسى فيمن قال فى النبى صلى الله عليه وسلم الحال يتيم ابى طالب القتل وافتى ابو محمد
ابن ابى زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبى صلى الله عليه وسلم اذ من بهم رجل قبيح
الوجه والقمة فقال لهم تزيدون تعرفون صفته هو فى صفة هذا المار فى خلقه وخلقه قال
ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قتل سليم الايمان وقال احمد بن ابى سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال فى رجل قيل له ترى
رسول فقال نعم الله بر رسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابى سليمان للذى
سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد فى قتله وتوجب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاه
التاويل فى لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معذور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاءه
موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب فى عشار قال لرجل ادواشك الى النبى
صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبى صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى
فيها الاندلسى بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبى
صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدره وزعمه ان زهره لم يكن قصيرا
ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فيها القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم
الغزارى وكان شاعرا متفننا فى كثير من العلوم وكان ممن تحضر مجلس القاضى ابى العباس بن
طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكره من هذا الباب فى الاستهزاء بالله وانبيائه عليهم السلم
ونبينا صلى الله عليه وسلم فاحضره القاضى يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء واستتابه وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المرخين انه لما رفعت خشبته
ونزلت عنها الايدى استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاكلب فولغ
فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال القاضى ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبى صلى
الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه فى خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى من سب مالكا واصحابه
ان من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابه وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان ان من قصد النبى صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل قتل واجب
هذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا تجب قتل قايله لم تختلف فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم
وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من عصمه او غيره برعاية الفهم

او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه
او شدة من ذمنه او يا لميل الى نسايه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى مذاهب
العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه **فصل** في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه
وسلم فمن القرآن لعنة الله تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه والاخلاف
في قتل من سب الله ورسوله وان اللعن انما يستوجبه مزهو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين
يوذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله
تعالى ايما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبته ذلك لهم خزي في الدنيا
وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما
واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله تعالى ونبيه
صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان يحبط
اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم تحيك به الله ثم
قال حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم
ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ
ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا الدارقطني وابو عمر بن حيوة قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا ابو الحسن
عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن
جده عن محمد بن علي بن الحسين بن علي عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه رضي الله عنهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لي بابن الكعب بن الاشرف فانه قد اذى
الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة خلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له
صلى الله عليه وسلم فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال
البراء رضي الله عنه وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم
الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وفي حديث
اخر ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد رضي الله عنه
انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يوذيه من الكفار ويسبه
كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر
باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي
معيط نادى يا معاشر قريش سالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترايك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير رضي الله عنه انا فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا
ان امراة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد رضي
الله عنه فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير رضي
الله عنهما اليه ليقتلاه وروي ابن قانع ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
الهما جر بن امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر رضي الله عنه ذلك فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما عجت امراة
من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت

يوذي

يقع

تنقع فى النبى صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفى حديث ابى برزة رضى الله عنه كنت يوما جالسا عند ابى بكر الصديق رضى الله عنه فغضب
على رجل من المسلمين وحكى القاضى اسمعيل وغير واحد من الائمة فى هذا الحديث انه سب ابا بكر رضى
الله عنه ورواه النسائى انيته ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعنى
اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضى ابو محمد
ابن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبى صلى الله عليه
وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عامله بالكوفة
وقد استشاره فى قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر انه لا يحل قتل امرء مسلم
بسبب احد من الناس الا رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال
الرشيد مالكا رحمه فى رجل شتم النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقها العراق افتوا بجلده
فغضب مالك يا امير المومنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء عليهم السلم
قتل ومن شتم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضى ابو الفضل رضى الله
عنه كذا وقع فى هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك وهو لفى اخباره و
غيرهم ولا ادرى من هولاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب
العراقيين بقتله واما هم ممن لم يشتم جلد او من لا يرتق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما
قاله تحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن
سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم قد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان شر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهى رواية
الشاميين عن مالك والاوزاعى وقول الثورى وابى حنيفة والكوفيين والقول الاخر
انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم تحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له
ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب وجحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا
خلاف قال الله تعالى فى مثله تحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسير هو قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما
مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة لنخرجن الاعز
منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستهزءا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل لانه
قد غير دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان حكم النبى صلى
الله عليه وسلم فى الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته حد فكانت العقوبة لمن سبه
صلى الله عليه وسلم القتل لعظم قدره وشنوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل
النبى صلى الله عليه وسلم اليهودى الذى قال له السام عليكم وهذا دعا عليه ولا قتل الاخر الذى
قال له ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد اوذى موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه فى اكثر
الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه
انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا
يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداری الكفار والمنافقين ويحمل
صحبتهم ويغضى عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم مما لا يجوز لنا اليوم الصبر عليه
وكان يرفههم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله عز وجل فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة
منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتى هى احسن فاذا
الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استقر واظهره الله تعالى على الدين كله قتل من قدر عليه واشهر امره كفعله بابن خطل ومن
عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله نغيلة من يهود وغيرهم او غلبه عليه من لم ينظمه قبل سلك

صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يوذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر
وعقبه وكذلك صدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى
اتوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر واكثر
تلك الكلمات انما كان يقولها القايل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا انميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في توبتهم ورجوعهم الى الاسلام
وتوبتهم فيصبر عليه افضل الصلاة والسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل
حتى فاكثر منهم باطنا كما ذاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم
للدين وزراء واعوان وحماة وانصار مكما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله
تعالى عن هذا السوال وقال لعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من اقوالهم ما رفع وانما نقله
الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او اسراة والرماة لاشتباه
الامرين وعلى هذا حمل امر اليهود في السلام وانهم لووا بالسنتهم ولم يبينوه الاترى كيف
نبهت عليه عايشة رضي الله عنها ولو كان صريح بذلك لم ينفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وحيائهم في ذلك ليقايا بالسنتهم وطعنا في الدين
فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على
نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان
من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين فحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن المدعو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب
اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله تعالى ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن
قتلهم وهذا خلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن
مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم رضي الله عنه ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما اراها من وجه الغلط في الراي وامور
الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورای انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء
الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاق جميع البشر وقيل بل المراد تسمون دينكم والسام
والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا ليس هذا بتعريض
بالسب وانما هو تصريح بالاذى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد قدمنا ان الاذى والسب
في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر جميعا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم
ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب
الاداة لامر محتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يومنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف
لئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرناه معناه عن مالك رحمه الله تعالى وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى الله
عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله تعالى عليهم واذن له في قتل من عينه

منهم وابو

منهم وانزل لهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شانهم الجلاء واخرجهم من
ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن
عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يوتى اليه قط الا ان ينتهك
حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه
من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له منه فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
او الفعل بالنفس او المال مما لم يقصد فاعله به اذاه صلى الله عليه وسلم لكن مما جبلت عليه الاعراب
من الجفا والجهل وجبل عليه البشر من الغفلة كجذب الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع
صوت الاخر عنده ومحمد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجيه عليه واشباه هذا مما تحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر رجاء بعد
ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قبل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء
استمالتهم واستمالة غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام في قتل
القاصد لسبه صلى الله عليه وسلم والازراء به وبعضه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه
بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته صلى
الله عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء لا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة
الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه صلى
الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين
الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر
بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من الكلام
ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه صلى الله عليه وسلم
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور
في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد بالكفر بالجهالة ولا
بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذ كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وبهذا افتى الائمة ليسون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
قدمناه وقال محمد بن سحنون في الماسور بسبب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم
تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى
ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يتعمد هذا
ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقط بالسكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على
نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا الحديث
حمزة رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى
الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جنايتها اثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما تحدث من النوم وشرب الدواء المامون فصل الوجه الثالث
ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به وبنفي نبوته او رسالته او وجوده او تكذيبه صلى الله عليه وسلم
انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع تجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا
بذلك كان حكمه حكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل
عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان
مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة
رحمه الله واصحابه من يرى من محمد صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم
الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم
يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب

وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا
او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الغرية على الله تعالى وقال اشهب
في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس اوقال بعدي نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا
بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه سكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن صلى الله عليه وسلم باسود وقال لحزه ابو عثمان الحداد قال
لو قال انه مات قبل ان يكحي او انه كان بتهامة ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن
ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة **فصل** الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمحمل وبلفظ من القول يمتنع ان يكون
حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره
فها هنا مترد النظر وحيرة الفكر ومظنه اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى
عرضه صلى الله عليه وسلم فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرء الحد بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صلى الله عليه وسلم على النبي
محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه
لم يكن مصرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل انما شتم الناس وهذا خو
قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا
مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صلى على
النبي صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره
في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال لكل صاحب فندق قرنات
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما
يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن
تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه
التاويلات لا بد من امعان النظر فيه بهذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن
قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذا افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر
وقال لم اعلم من حرمه وفي من لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن من وجاء بدانه ان كان يعذر
بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
ولا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من الناس على لحن فتوى سحنون واصحابه
في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الفخذ
وابن راية كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا الهرد مزاياته واجراده
جماعة من الانبياء عليهم السلم ولعل بعض هذا الهرد منقطع الى ادم عليه السلم فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قايله منه وشرة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في اباية من الانبياء
على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا يجحاني في اباية او من نسله او واره
على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض اباية ولفراج
النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى يونس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه

ان ثبت

ان ثبت ذلك عليه قتل قال ابن القاسم رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد يشهد عليه
بينة ثم قال له تنحى فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى
قتله لشناعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن نصور يقف عن القتال لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبرا عن اتهام الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو هذا وشدد القاضي
ابو محمد تصفيده واطالة سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من
شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضايه اتى برجل هاتر
رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك
وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يعجب من يستراب بدينه
فلما لم تجر ما يقوى الريبه باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس الا يقصد نقصا
ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصاف او يستشهد ببعض احوال صلى الله عليه وسلم الجائزه
عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند مصيبة نالته
او غضاضة لحقته ليس على سبيل التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره
او سبيل التمثل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول
القايل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبروا ولوا العزم
من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر في الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وكهو من اشعار المحدثين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

اثر كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير

على احد هذا البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل
حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل
سويته في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله بالنبي عليه
الصلاة والسلام والجر فحمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناه
عنها وهذه اشد وكخو منه قوله الاخر

واذا ما رفعت رايته صفقت بين جناحي حبريل

وقوله الاخر من اهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا فصير الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون

كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد

الى امثال هذا وانما كثرنا بشواهد هاهنا استثقالنا لحكايتها لغرابة امثلتها ولتساهل كثير من الناس
في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم قادح هذا الجنب وقلت علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم
فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصرفا واللسانه
سرحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف
والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وعرضنا الاذى الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها
وان لم يتضمن سبا ولا اضافة الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني بعجزي بيتي المعري ولا قصد
قايلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة
حتى شبه من شبه في كرامة نالها او محنة الانتقام منها او ضرب مثلا لتطيب مجلسه او اغلاء
في وصف لتحسين كلامه من عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر
القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به وما الوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه
او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي

نواس قوله فان يك يأتي محرفون تكيم فان عصا موسى بكف خصيب
وقال له يا ابن الخنا انت المستهزئ بعصى موسى عليه السلم وامر باخراجه عن عسكره من
ليلته وذكر المنتجي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه
بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد اشتركا
وقد انكر عليه ايضا قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره
لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا
يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا
مالك بن انس رضي الله عنه واصحابه فيمن اراد رمز رواية ابن ابي مريم عنه برجل غير
رجلا بالفقر فقال تغيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب
اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء عليهم السلم قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه غريبا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم
كافرا فقال اجعلت هذا مثلا فعزله وقال لا اكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم عند التجهم الاعلى طريق التراب والاحتساب وتوقيرا له وتعظيما كما امرنا
الله تعالى وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه
مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد
أروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لذمامة خلقه فان كان هذا
فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وانما ذكر مالك
خازن النار عليه السلم فقد جفا الذي ذكره عنها انكر من عبوس الاخر الا ان يكون العبوس
له يذير هب بعبسته فيشبهه القايل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمة صفة
مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك عليه
السلام كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه
لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل
اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله
وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر
عليه خطأ لكنه خطأ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه
وسلم اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة من جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى
الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب ورجا الى الله تعالى فينبغي لان قوله لا ينتهي الى حد القتل
وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتي
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله تعالى في رجل تنقصه
اخر يشتمه فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى
الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه واجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القايل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته وتختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة
وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقايله
والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتحرج له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرذله والتنقيص على قايله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القايل لذلك ممن تصدى
لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع حكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الاشاده مما سمع منه والتنفير عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من
ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين

صلى الله عليه وسلم وكذلك ان كان ممن يعظم العامة او يرد الصبيان فان من هذه سبيله لا يؤمن
على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد فى هؤلاء الايجاب لحق النبى صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم
يكن القايل بهذا السبيل فالقيام لحق النبى صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين
ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به
القضيه وبان به الامر سقط عن الباقى الفرض وبقى الاستحباب فى تكثير الشهاده وعضد التحذير
منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث فكيف بمثل هذا وقد سيل ابو محمد بن ابى
زيد رحمه الله تعالى عن الشاهد يسمع مثل هذا فى حق الله تعالى ايسعه ان لا يودى شهادته قال ان
رجا بنفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مساغا خلافا
لهذا الباب فليس التفكه بعرض النبى صلى الله عليه وسلم والقضض بسوء ذكره لاحد لاذا كرا
ولا اثرا لغير غرض شرعى بمباح واما الاغراض المتقدمة فمتردد بين الانجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله صلوات الله عليهم فى كتابه العزيز على وجه الانكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا فى محكم كتابه وكذلك وقع من
السلف فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحه على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة
الهدى على حكايات مقالات الكفره والملحدين فى كتبهم وفجاسهم ليبينوها للناس وينقضوا
شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل رحمه الله تعالى انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد
فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقايلين بالمخلوق هذه الوجوه السابقه لحكاية عنها
فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سببه والاز راء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف
واحاديث الناس ومقالاتهم فى الفت والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض فى
قيل وقال وما لا معنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة من بعض فما كان من قبيل
الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة
حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العوده اليه وان
قوبل ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد
وقد حكى ان رجلا سال مالكا رضى الله عنه عمن يقول القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه
فقال انما حكيته عن غيرى فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله تعالى على
طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه
ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويحمل الى الهاويه امه وقد قال
ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى فى من حفظ شطر بيت مما يجى به النبى صلى الله عليه وسلم
فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما يجى به النبى صلى الله
عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله تعالى اسلافنا المتقين المحررين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا
اشيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله تعالى من قايلها
واخزه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم بن سلام رحمه الله تعالى قد حرج
فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن
اسمه استبرا لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد برواياته او نشره فكيف بما يتطرق
الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما عجز على
النبى صلى الله عليه وسلم او يختلف فى جوازه عليه وما يطرا من الامور البشريه ويمكن اضافتها
اليه او يذكرها ممتحن به وصبر فى ذات الله عز وجل فى شدته من مقاساة اعدايه واذاهم
له ومعرفة ابتدا حاله وسيرته صلى الله عليه وسلم وما لقيه من بوس زمنه ومر عليه من معاناة
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا عليهم
الصلوه والسلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غض

ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن تجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهما طلبه الذين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوايده ويجنب ذلك
من عساه لا يفقه او يخشى به فتنه فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف عليه السلم
لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
صلى الله عليه وسلم لخبزا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي
الا وقد رعى واخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه الصلوة والسلام وهذا الاعتراض فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجه خلاف مقصده بالمعارضة والتحقير بل كانت عادة جميع
العرب نعم في ذلك الانبياء صلوات الله عليهم حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم على كرامته وتدريب
برعايتها للسياسة امتهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم
وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته صلى الله عليه وسلم على طريق المنة عليه والتعريف
بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتديه والتعجب من منع الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيها اعتراض بل فيه دلالة على نبوته عليه افضل الصلوة والسلام
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيأ فشيأ
وبنى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم
باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده بالملايكة المسومين
ولو كان ابن مالك او ذا اشياع متقربين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره و
مقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال اباسفين عنه صلى الله عليه وسلم هل له اباء من ملك
ثم قال ولو كان في اباءه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته واخبار علماءه
في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي
يزن لعبد المطلب وخبرا لاني طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مرجعة
له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطرق
المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك مما قدمناه في القسم الاول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها ووسطة
موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب
والاسية في غيره نقيصه لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه لحظه سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حيوته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنايه
وهلم جرا الى سايرما روي عن اخباره وسيره وتنقله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين خطيرها
وحقيرها السرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضايله وماثره وشرفه كما ذكرناه
فمن اورد شيأ منها لصوره وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم
منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره صلى الله عليه
وسلم واخبار سايرالانبياء عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال
يقتضي امورا لا تليق بهم كالمحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال فالاجب ان يحدث منها الا
بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم المثابت ورحم الله تعالى ما كان فقد كره التحدث بمثل ذلك من
الاحاديث المرهمة للتشبيه المشكلة المعنى وقال ما بدء الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له
ان ابن عجلان حدث بها فقال لم يكن من فقهها وليت الناس وافقوه على ترك التحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اورد ها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وتبليغه واجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم
جاء من غلبت عليه العجمة ودخلته الاميه فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نضها وصريحها ولا
يحقق اشارتها الى غرض الاعجاز ووجهها وتبليغها وتلوحها فتفرقوا في تاويلها شذر مذر فمنهم

من امن

من به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الا يذكر منها شئ في حق الله تعالى
ولا حق انبيائه صلوات الله عليهم ولا يتحدث بها ولا يتكلم الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان يذكر على وجه التمريض بانها ضعيفه المقاد واهية الاسناد وقد
انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك في تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفه موضوعه
لا اصل لها ومنقوله عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها وتبيينه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها
واجتنابها من اصلها وطرحها الكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم
فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزمه في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر
تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ومراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات
الادب عند ذكره فاذا ذكرها قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه
ومودة الغدر النبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة
وتكلم على مجاري اعماله واقواله صلى الله عليه وسلم جرى احسن اللفظ وادب العباره وما امكنه
واجتنب بشيع ذلك وهجر من العباره ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العباره
ويتجنب لفظه الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز الا يعلم الا ما علم وهل
يمكن الا ان يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر
فضوا ولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي
فهذا ما يحق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه وجرت بعض الجايرين قوله لاجل ترك
تحفظه في العباره سالم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكبر قايله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادابهم ومحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب والتزامه اكد
لجودة العباره تقبح الشئ وحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تشريح
العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور في الحكم
على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتمزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر
مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اية من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه وكفرهم
باياته وافترى عليه الكذب فكان يغض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه
بمن كفر به **الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومنتقصه**
وعقوبته وذكر استتابته وورائته قد قدمنا ما هو سب واذا فحقه صلى الله عليه وسلم
وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك او قايله او تخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقررناه فيما مضى عليه ونعيد فاعلم ان مشهور مذهب مالك رضي الله عنه واصحابه وقول السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل توبته ولا تنفعه استقالته
ولا نيته كما قدمناه تقبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او مجيئا تايبا من قبل نفسه لانه حد وجب
لا يسقطه التوبة كساير الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى اذا اقر بالسب
وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو جحده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه
وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه من الموحدين ثم
تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تايبا فحكى
القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لان كان
يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته

تعض

عندهم صح

لانى استدل على صحتها بجميع ذكاننا وقفنا على باطنه خلاف من اسرته البينه قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قول اصبغ ومسئلة سب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لايتصور
فيها الخلاف على الاصل المقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لاتسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق
واحمد لاتقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن
المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيأ حرمه عندنا القتل لاعفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر يحتمل السقوط
اعتبارا بتوبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى
الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقه المعرة الامن اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن
جميع المعايب قطعا وليس من جنس يلحق المعرة بجنسه وليس بسبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى منفرد به المرتد لاحق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته
ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقتل
فان توبته لاتسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لاتسقط ذنوبه من
زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره ولكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال
المعرة به وذلك لاتسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى يريد والله
اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف اولان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هؤلاء مبني
على القول بقتله حدا لاكفرا وهو محتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك مما ذكرناه وقاله من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قال ويستتاب منها
فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع
فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهار الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك
حكم الزنديق اذا اظهر عليه وانكر واناب فان قيل فكيف يثبتون عليه الكفر وشهد عليه بكلمة الكفر
ولا يحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتناله حكم الكافر في القتل فلا يقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد عليه او زعم ان ذلك كان منه وهلا و
معصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم يثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه مستقرا لاستحلاله فلاشك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما الاشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لانقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره واموره بعد
الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم
عليه فهذا كافر بقوله واستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلاخلاف
فعلى هذه التفصيلات خرج كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجراء اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة
حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من
الصحابة رضي الله عنهم على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك و
اصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد بن عمير
والحسن في احدى الروايتين عنه انه لايستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن حماد
وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته
عند الله تعالى ولكن لاتدرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد

في الاسلام

الاسلام لم يستتاب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء
وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما لا يقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك رحمه الله
تعالى والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر
رضي الله عنه انه يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيها عن عمر رضي الله عنه وهو احد
قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا خبر وليس
عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد تزيد في الاستتناء ثلثا وقال
مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه تحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه
كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الراي وروي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي رحمة الله
تعالى مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا
وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى بن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله انه يستتاب
ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او
يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك رضي الله عنه ما علمت في الاستتابة تحويفا
ولا تضييقا ويوتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء
ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما
رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك رضي الله عنه يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد
رضي الله عنهما وقاله ابن القاسم وقال ابن اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم
يتب في الرابعة قتل دون استتابة فان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم تخرج من السجن حتى يظهر
عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر لا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع
وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي رحمهم الله تعالى فصل هذا حكم من ثبت عليه
ذلك بما تجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول
بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والتنبز بالسفه
والجنون فمن قوى امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته ويحكم كل من وجب
عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره وحالات
الشرة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روي الوليد عن مالك والاوزاعي رحمهما
الله تعالى انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في التنبيه وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقال سحنون وافق ابو عبد الله بن عتاب في من سب النبي صلى الله عليه وسلم
فيشهر عليه شاهران عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى يظهر توبته
وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فما ق عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان
يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم وحمل عليه من القيد
ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيد شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر
فما جب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن نكال السفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت

من عداوتهما او جرحهما ما اسقطها عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التجريح
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما والحاكم هنا
في تنكيله موضع اجتهاد والله تعالى ولي الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا اباحنيفة والثوري
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا نقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعذر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الايه
ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا نجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اقررناهم ولم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط
حدود الاسلام عليهم من القطع في سرقه اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به وورد ذا ما اظهروا لا لمخالفة للامر وتنقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والمسلم لخلافه اذ كان ظننا باطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم يقبل
بعد رجوعه ولا استتفا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب
عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقط
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم
فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك رضي الله عنه في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا
من الانبياء عليهم الصلاة والسلم قتل الا ان يسلم وقال ابن القاسم في العتبيه وعند محمد وابن
سحنون ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا
عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روي ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنهما ان راهبا تناول
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضي الله عنهما فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم
في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا
شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه
قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فقد يقتل قال ابن القسم واذا قال النصراني ديننا خير من
دينكم انما دينكم دين الحمير او نحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب المرجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى
الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك في غير مرة ولم يقل يستتاب قال
ابن القسم ومحمل قول عنزي اذا اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سوالات سليمان بن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الانبياء صلوات الله عليهم من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر واضربت
عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومزديته
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا افتتل واحدا منا
قتلنا وان كان مزديته استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو
بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه صلى الله عليه وسلم لم تجز لنا ذلك في قول قايل كذلك

ينتقض

ينتقض عهده من سب منهم وتحل لمناذمه وكالم تحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا
يحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن سحنون عن
نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما تخوف عقوبتهم فيه مما به كفر وافتاله ويدل على
انه خلاف ما روى عن المدنيين في ذلك حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال
والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف على فيه فضربته حتى قتلته وعاش يوما وليلة وامرت
من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسيل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا رضي الله عنه عن نصراني سب
شهد عليه انه قال مسكين محمد تخبركم انه في الجنة ماله لا ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل
ساقيه لرقتله استراح منه الناس قال مالك ارى ان يضرب عنقه قال ولقد كرت ان لا اتكلم
فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من
اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه
بالنار حيا اذا تهافت في سبه صلى الله عليه وسلم ولقد كتب الي مالك رحمه الله تعالى من مصر وذكر
مسلة ابن القاسم المتقدمة قال فاسرفي مالك فكتبت اليه بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا عبد الله اكتب ثم حرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين
يديه فما انكره ولا عابه ونفرت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافق عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في
جماعة سلف اصحابنا الا ان لسنين بقتل نصرانيه استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول اسلامه ودرا القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه في سب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
من يسلم او كافر يقتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درا القتل عنه
باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما
يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك من ذمي او غيره فاوجب على الذمي
اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ما ذا اوجب عليه هل حد القذف في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل
باسلامه وتجدد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى
انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة مستسرا بذلك
وان كان مظهرا له مستهلا بر فيراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي
ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ سوجرة وحكمه في ميراثه
سبيل احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان
كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته كما يفعل بالكفار وقول
الشيخ ابو الحسن في الجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم
في المتنبيه وجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكم
حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما اختلف في
ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا يقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث قال
ابو محمد في من سب الله تعالى ثم مات ولم تقم عليه بينة او لم يقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ
عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما
تفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال يقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه
ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد رحمه الله تعالى وقال علي بن
ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة رضي الله عنهم يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل

قال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين

ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على
راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فرثة ورثه
من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها واعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد
ابن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره اوتوبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في المعتبية وكتاب محمد
ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة
وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في المعتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب
فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل اومات ورث قال وكذلك كل من استكفر فانهم يتوارثون
بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمين فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل
ملتين ولكنه لانه من فيئهم لمقتضى المهد هذا معنى قوله واختصاره **الباب الثالث**
في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه
وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم
في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك رضي الله عنه في كتاب اسحق
ابن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله تعالى بارتداده الى دين
دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا يدرء الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي
ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما
اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين
الله تعالى فمعذور واختلف فيها قرطبه في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض
لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن
خالد بقتله وان مضمن قوله تجويز الله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه
عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه
الا ان القاضي راى عليه التنكيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى المتشكي
فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه
قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه
ترك استتابته انه لما اظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم يطلق
به الا وهو معتقد له اذ لا يتاسا هل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل
من دين الى اخر واظهر السب بعض الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو
مذهب مالك رضي الله عنه واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل**
واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الرده وقصد الكفر ولكن
على طريق التاويل والاجتهاد والخطا المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نفت نجا رحمة
او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا حيزوا فية وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتالهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله
عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في
جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك رحمه الله في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده
وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم
في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف

التاويل

لتاويل كتاب الله عز وجل يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابهم ان يقال لهم اتركوا
ما اسستم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضيه والقدريه وساير اهل البدع قال وهم مسلمون وانما
قتلوا لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال ابن القاسم سمعت مالك ان الله عز وجل
لم يكلم موسى عليه السلم تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدريه والمرجيه وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام
انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد
الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري قال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى
شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويرجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية
بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو
عبد الله التستري من ايمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي رضي الله عنه لا يستتاب
القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينه وابن لهيعه روي عنهم
ذلك فيمن قال خلق القرآن وقاله ابن المبارك والاوزاعي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق
الفزاري وهيثم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي
الخوارج والقدريه واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل كذلك
قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول الاخر بتكفيرهم علي بن ابي
طالب وابن عمر والحسن البصري رضي الله عنهم وهو راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك رضي
الله عنه في القدريه وساير اهل البدع يستتابوا فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال
في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا
وان كان قد يدخل ايضا في امور الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين
وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق القول في اكفار
المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال
قولا يرديه مسافر الى الكفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يرديه قوله اليه وعلى احتمالهم
اختلف الفقهاء والمتكلمين في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف
ومنهم من اباه ولم يراخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا
هم فساق عصاة ضلال ونوابرهم من المسلمين وحكم لهم باحكامهم وبهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيره وابن كنانة واشهب
قال لانه مسلم وذنبه لم تخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير او ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه الى
كوم من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام المحققين والحق رضي الله عنه وقال انما من الموصفات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يرديه واضطرب قوله في المسئله على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس رضي الله عنه حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من
كفرهم بالتاويل لاحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم واختلف في مواريثهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ونرثهم من المسلمين ولا نورثهم من
المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابو الحسن الاشعري
رضي الله عنه واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وانما الجهل بوجود الباري تعالى
وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطريق فليس بعارف به وهو
كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله تعالى في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة

تبرکم

فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال
غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين
خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه
وسلم فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله واما العصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر التقرير وقوله
لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم
من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ
في الحديث في غير التكفر على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الربا
وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا نقطع على احدهما الا بدليل
قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى
لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم عن المسلمين ويفهم عليهم
بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فعلتهم هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه
للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله حكم بكفره ونعارضه بقول خالد رضي الله عنه في الحديث
دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرون القرآن
لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم
من الرمية لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق
من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنى لا تجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح
له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في
حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول تخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه وتخريج ابي سعيد رضي الله عنه الرواية وانقاذه
اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة خلاف لفظة من التي
هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم رضي الله عنهم
في هذا الحديث تخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من
الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحقيقهم للمعاني واستنباطهم الالفاظ
وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق
فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا
يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول ان كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويزا له
في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض
المتكلمين ان كان من عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن
من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لا لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله
ابن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق
في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص
فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود
الاصبهاني قال وحكي قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في
طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال فحوى هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة
والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن
معها الاستدلال وقد حكى الغزالي قريبا من هذا المعنى في كتاب التفرقة وقايل هذا كله كافر بالاجماع
على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر رحمه الله لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد
كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل في**

بيان

بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وساير فرق اصحاب الاثنين
من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة
الاوثان او الملايكة والشياطين او الشمس والنجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب
واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطبائعية من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته
ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه حدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا
او انه تولد من شيء او كان عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم
سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين لقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم
او ببقايه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
وانتقالها ابدا الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب زكايها وخبثها وكذلك
من اعترف بالاهيه والوحدانيه ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم خصوصا او احد من الانبياء عليهم السلام الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كاليهود وبعض الاروسيه من النصاري والعرابيه من الروافض الزاعمين
ان عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل عليه السلم وكالمعطلة والقرامطة الاسماعيلية
والعنبريه من الرافضه وان كان بعض هولاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء عليهم السلم الكذب
فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هولاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت
به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس تحتها
شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم
التصريح لقصورهم افهامهم فضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه
واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء صلوات الله
عليهم او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب
والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يودي الى ان يوصف انبياء
هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب الشريف ما فيه مع اجماع
المسلمين على خلافه وتكذيب قايله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن كما قال كان اسود وامات قبل ان يلتحى وليس الذي كان
بمكة والحجاز وليس ببرشى لان وصفه نفي صفاته المعلومة فنفي له وتكذيب به وكذلك من
ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كاليسوية من اليهود القايلين بتخصيص
رسالته الى العرب وكالبرجمية القايلين بتواتر الرسل وكاكثر الرفضة القايلين بمشاركة
علي رضي الله عنه في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هولاء
يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القايلين بنبوة بزيغ وبيان
واشباه هولاء ومن ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى
مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع
النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهولاء
كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين
ولا نبي بعده واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل

هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوايف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث
مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من
دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع
بتكفير كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابه كقول الكهيلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا رضي الله عنه اذ
لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعه باسرها اذ قد
انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك رضي الله عنه
في احد قوليه يقتل من كفر الصحابه ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على
مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
وصلى على رسوله وآله وصحبه وسلم وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان
كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وخص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان
هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفه وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى
علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذا لم يرد فيه
في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرايض اسما
رجال امروا بولايتهم والمحابث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفه ان
العبادة وطول المجاهدة اذا صفيت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شي لهم ورفع
عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج
واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة
هي مكة والبيت او المسجد الحرام لا ادري هل هي تلك ام غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله
عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا عذر فيه في تكفيره ان كان ممن يظن
به علم وذلك ممن خالط المسلمين فلا يخدعنهم خلافا كافه عن كافة الحاضرين الرسول صلى الله
عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة
والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال
هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات
الصلاة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان حدودها
فيقع الك العلم كما وقع لهم ولا يرتاب بذلك والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهرهم المستر عن التكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به وادخل الاسترابه في جميع الشريعه
اذ هم الناقلون لها والقرآن والحلت عرا الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن
او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي
صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضري انه لا دليل على الله
تعالى ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا دليل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا احاله في كفرهما
بانكارهما ان يكون في ساير معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله عز وجل لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا

صوابه بوجه

كله

كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع المسلمين عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهرها وانها اذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة ومن زعم ان معنى القيامة الموت او فناء الخلق وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء صلوات الله عليهم فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او موته او وجود ابي بكر وعمر رضي الله عنهما او قتل عثمان او خلافة علي رضي الله عنهما لما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره تحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذكر الكثير من المياه كانكار هشام وعباد وقمة الجمل ومحاربة علي رضوان الله عنه من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وبجحتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي تختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق الاجماع قال القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد لقول ولا راى الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر والكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس بالزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله ينهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او بحرها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ايمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء اصنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا تخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري رحمه الله قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هولاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لين قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من جملة زلات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى

الاجماع

عليه من الخرج والخشبة التي اذهبت لبه فلم يواخذ به وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك وممناه التحقيق وهو يسمى مجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او
يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال
اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على مذهب المعتزلة ممن
قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كثيرة لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم
اذ لا يوصف بعالم الا من له علم وكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عنده هذا ساير
فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يراخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم يراكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا الا نقول ليس بعالم ونحن
ننتهي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل يقول ان قولنا لا يؤول
اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك
الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم وورثاتهم وسناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم
ودفنهم في مقام المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى
يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمن الصحابة رضي
الله عنهم وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوالهم
قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم واديبوهم بالضرب والنفي والقتل على قد راحوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن يقل بكفرهم منهم خلافا
لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى واما مسايل
الوعد والوعيد والرويه والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق
فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون
على اكفار من جهل شيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته
بحول الله وقوته فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما في ذمي تناول مرحرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد بن
سحنون من شتم الله عز وجل من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر او اقتل ولم يستتب قال
ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفر هو
دينهم وعليه عوهد وامن دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من المزية والشتم
فلم يعاهد وا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان
الله تعالى بغير الوجه الذي ذكرنا به قتل الا ان يسلم قال المغيرة في المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد
الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا
ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابه وشيوخ الاندلسيين
في النصراني وفيما هم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به والنبي واجماعهم على ذلك وهو
نحو القول الاخر في من سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله تعالى به وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا شيا مما كفروا به
وان لا يسمعونا شيا من ذلك فمتى فعلوا شيا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلما في الذمي اذا ترند
فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك
ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية قال ابن حبيب وهو اعلم
من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضاف ما لا يليق بجلاله والاهيته فاما
من قاله غيره من الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله تعالى
خالقه او ربه او قال ليس لله رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمره جنونه فلا خلاف
في كفر قايل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه يقبل توبته على المشهور وتنفعه
انابته وتخيفه من القتل فيته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون

ذلك زجرا

ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العوده لكفره او جهله الا ان تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما
الق به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا تأمن باطنه ولا تقبل رجوعه
وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قباح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمه
على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله عنه من ادعى له الالهيه وقد قتل عبد
الملك بن مروان الحرث المتنبى وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام
المهتدر من المالكيه وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهيه والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعه ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى العزا
وكان على مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين
ابن ابى عمر المالكى وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفه واصحابه
من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال ابن القاسم فى كتاب
ابن حبيب ومحمد والعتبيه فيمن تنبأ يستتاب استرذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون
وغيره وقاله اشهب فى يهودى وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا
قتل وقال ابو محمد بن ابى زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر ان انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى
فى سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب بطالبه الزنديق لان
هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم
يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة سولاه او يدخل فى بعض الاشيا
ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا فى حق خالق غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا وعرف منه دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظم عزته وكبريايه وهذا كفر لا مريه فيه وكذلك ان كان
مما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقها
قرطبة بقتل المعروف بابن اخى عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش
جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانيه وعبد الاعلى بن وهب وابان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عثر من القول يكفى فيه الادب وافتى
بمثله القاضى حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى ايشتم رب عبد ناشم
لا ينتصر له انا اذا لعبيد سوء ما خن له بعابرين وبكى ورفع المجلس الى الامير عبد الرحمن بن الحكم
الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب مرتفعا اياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
بالاخذ بقول ابن حبيب وساعده وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضى
لتهمته بالمداهنة فى هذه القصه ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك
الهنه الراجحه والفلته الشارده سالم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصوره حال قايلها وشرح سببها ومقارنها وقد سيل ابن القاسم
رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او
قاله على وجه سفه فلا شى عليه قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى وشرح قوله
انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزله ربه
لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم فى هذا الباب واستخف بعظيم
هذه الحرمة فالتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا قصص
مسايل حكيناها لما ذكرنا شيا يثقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول واما ما ورد
فى هذا من اهل الجهاله واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب

رب العباد ما لنا وما لكا	قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا	فى اشباه لهذا من كلام الجهال ممن لم يقوم

قيد

ثقافة تاديب الشريعة والعلم فى هذا الباب فقل ما يصدر الانسان جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ
له عن العوده الى مثله قال ابو سليمان الخطابى وهذا تورع من القول والله تعالى منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه فى كل شئ حتى يقول
اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشائخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما
يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعطاك الاسم تعالى
ان يهتن فى غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشى كان يعيب على اهل الكلام كثرة
خوضهم فيه تعالى ونبى ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هولاء يتمندلون بالله جل وعز ينزل
الكلام فى هذا الباب تنزيلا فى باب سباب النبى صلى الله عليه وسلم على الوجوه التى فصلناها
والموفق الله **فصل** وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم
فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الآية الى قوله لا نفرق
بين احد منهم وقال كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله قال مالك رضى
الله عنه فى كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون
فى من شتم الانبياء عليهم السلام او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة
قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء عليهم السلم من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذى به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف فى هذا الاصل وقال
القاضى يقرطبه سعيد بن سليمان فى بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون
من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفى النوادر عن مالك رضى الله عنه فيمن قال ان
جبريل عليه الصلاة والسلام اخطا بالوحى وانما كان النبى على بن ابى طالب رضى الله عنه
استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الفرابيه من الروافض سموا بذلك
لقولهم وكان النبى اشبه بعلى من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من
كذب باحد من الانبياء صلوات الله عليهم او تنقص احدا منهم ونرى منهم فهو مرتد وقال ابو
الحسن القابسى فى الذى قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل
قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة
والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين عليهم السلم مما نص الله تعالى عليه
فى كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين من الملائكة ومن سمى نبيه
من الانبياء وكعمران ابراهيل واسرافيل ورضوان والحفظه ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على
قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكه
او الانبياء كهاروت وماروت فى الملائكه والخضر ولقمان وذى القرنين ومريم واسيه
وخالد بن سنان المذكور انه نبى اهل الرس وزرادشت الذى يدعى المجوس والمزدكيون
نبوته فليس لحكم فى سابهم والكافرهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الرتبه ولكن
يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر حال القول فيهم لاسيما من عرفت صدقه
وفضله منهم وان لم يثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكه فان كان المتكلم
فى ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء فى ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض
فى مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام فى مثل هذا وقد كره السلف فى مثل هذا مما ليس تحته
عمل لاهل العلم فكيف للعامه **فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشئ منه
او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشئ منه او كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم
او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك فى شئ من ذلك فهو كافر عند اهل
العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله قال حدثنا ابو على حدثنا ابن عبد
البر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسه حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا
يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن ابى سلمه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المراء
فى القران

فى القرآن كفر يزول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب
الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو
فى جميع اقطار الارض المكتوب فى المصحف بايدى المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين
الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه
حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذى وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر وبهذا راى
مالك رحمه الله تعالى قتل بن نسب عايشة رضى الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف
القرآن قتل اى لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدى وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله
عز وجل يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد
على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما او شهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
يتفقون ان الحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت
ويقول كما اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج
من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سيل
القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال لا اخر لمن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد
لا يوجب القتل والثانى على الامر بصفة تحمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشىء عند
الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق
فقهاء بقرطبة على استتابة ابن شنبوذ المقرى احد ائمة المقرين المصدرين بجامع ابن مجاهد
لقراته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس فى المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه فى مجلس الوزير ابى على بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمايه
وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهرى وغيره وافتى ابو محمد بن ابى زيد بالادب فى قال
لصبى لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليهم السلم وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفى وابو
الفضل المعدل قالا حدثنا ابو يعلى السبخى حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذى حدثنا محمد بن يحيى
حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيده بن ابى رابطه عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى الله الله فى اصحابى
لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فانه يجى قوم فى اخر الزمان
يسبون اصحابى فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا
تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابى فاضربوه وقد اعلم النبى صلى الله عليه
وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبى صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذونى فى اصحابى
ومن اذاهم فقد اذانى وقال لا تؤذونى فى عايشه وقال فى فاطمه رضى الله عنها بضعة منى فمن اذاها
[illegible] اما وقد اختلف العلماء فى هذا فمشهور مذهب مالك رحمه الله فى ذلك الاجتهاد والادب
المرجع قال مالك رحمه الله من شتم النبى صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال
ايضا من شتم احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص
رضى الله عنهم فان قالوا كانوا على ضلال اوكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من شتامة الناس نكل نكالا

شديدا وقال ابن حبيب من غلاة الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب اشد يدا ومن زاد الى بغض ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه يموت او يتوب ولا يبلغ به القتل الا فى سب النبى صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما رضى الله عنهم يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن سحنون من قال فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر رضى الله عنه جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلى ان القاضى ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر فى القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى آى كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه فى تبريتها من السوء كما سبح نفسه فى تبريته من السوء وهذا يشهد لقول مالك فى قتل من سب عايشة رضى الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كان عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه صلى الله عليه وسلم واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذى نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة رضى الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسى فقال بئس حضر هذا فقال ابن ابى ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه فى الجامين وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود رضى الله عنه فكلم فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتى باعرابى يهجو الانصار رضى الله عنهم فقال لولا ان له صحبة لضربت عنقك قال مالك رضى الله عنه من انتقص احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فليس له فى هذا الفى حق قد قسم الله الفى فى ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الآية وهولاء الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له فى المسلمين وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حد من حد الله وحد الامة ولا اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابى فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد حد المفتريه لانه ست له فان كان احد من ولد هذا الصحابى حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولى القيام به قال ومن سب غير عايشة رضى الله عنها من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبى صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر انها كسايرالصحابة يجلد حد المفترى قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى يظهر توبته لانه استخف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبى فقيه مالقة فى رجل انكر حليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابى بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنه ابى بكر فى مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويوخر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله تعالى وقال ابو عمران قال لو شهد على ابو بكر الصديق انه كان فى مثل هذا لاجزت فيه شهادة الواحد فلا شئ عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حر الموت وذكر وهاروابة وقال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه هذا انتهى القول بنا فيما حررناه وانجز الغرض الذى انتحيناه واستوفى الشرط الذى شرطناه مما ارجوا ان فى كل قسم منه للمريد مقنع وفى كل باب منه الى بغيته ومتزع

وقد سمعت فيه عن نكتٍ تستغرب وتستبدع ۞ وكرعت في مشارب من التحقيق لم يرد لها قبل
في اكثر التصانيف مشرع ۞ واودعته غير ما فصلٍ وددت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه ۞ او مقتدى يعيدُ نبيه عن كتابه او فيه ۞ لاكتفي بما ارويه عما اراويه
والى الله تعالى في جزيل الضراعه في المنّة ۞ بقبول ما منه ۞ لوجهه ۞ والعفو عما تخلله
من تزين وتصنع لغيره ۞ وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه ۞ لما اودعناه
من شرف مصطفاه ۞ وامين وحيه ۞ واسمرنا به جفونا ليتبع فضايله ۞ واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصايصه وسايله ۞ وتحمي اعراضنا عن ناره الموقده لحمايتنا
من عرضه ۞ وتجعلنا ممن لا يُذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ۞ وتجعله لنا
ولمن نهتم باكتسابه واكتسابه ۞ سببًا يصلنا باسبابه ۞ وذخيرةً نجدها يوم تجد
كل نفسٍ ما عملت من خير محضرًا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ۞ وتخصنا تخصيصي ذرية
نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته ۞ وتحشرنا في الرعيل الاول ۞ واهل الباب الايمن
من اهل شفاعته ۞ وتحذه تعالى على ما اهدا اليه من جمعه والهمه ۞ وفتح المبصره
لدرك حقايق ما اودعناه وفهمه ۞ ونستميذه جل اسمه من دعاءٍ لا يسمع ۞ وعلمٍ
لا ينفع ۞ وعملٍ لا يُرفع ۞ فهو الجواد الذي لا تخيب من اسله ۞ ولا ينتصر من خذله ۞
ولا يرد دعوة القاصدين ۞ ولا يصلح عمل المفسدين ۞ وهو حسبنا ونعم الوكيل
وصلى الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين ۞ وعلى اله واصحابه ۞ وازواجه
وعترته وساير المتبعين ۞ وسلم تسليمًا كثيرًا ۞ والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب كتاب الشفا ۞ في التعريف بحقوق المصطفى ۞
صلى الله عليه وسلم بحمد الله وعونه ومنه ولطفه
ووافق الفراغ منه على يد كاتبه لنفسه
العبد الفقير الراجي عفو ربه الملك القدير
عبد الله بن الحاج مصطفى الاسطواني الحنفي
الخطيب بجامع بني اميه بدمشق سابقا
في السادس من شهر رجب الفرد
من سنة سبع وخمسين
ومايه والف
من الهجره ۞

نفعه الله به وختم له بخير في عافيه ولمن كتبه او طالعه ودعا له بالمغفره ولسايرالمسلمين انه
على كل شيء قدير ۞

يا خالق الخلق طورًا بعد اطوار ۞ وعالم الجهر من قول واسرار ۞
اغفر لكاتبه ايضا وقارئه ۞ والمستعير له يا رب والقاري ۞
وادخل الكل جنات النعيم غدًا ۞ يوم الحساب وانقذهم من النار ۞